الكاتب ١٢٩

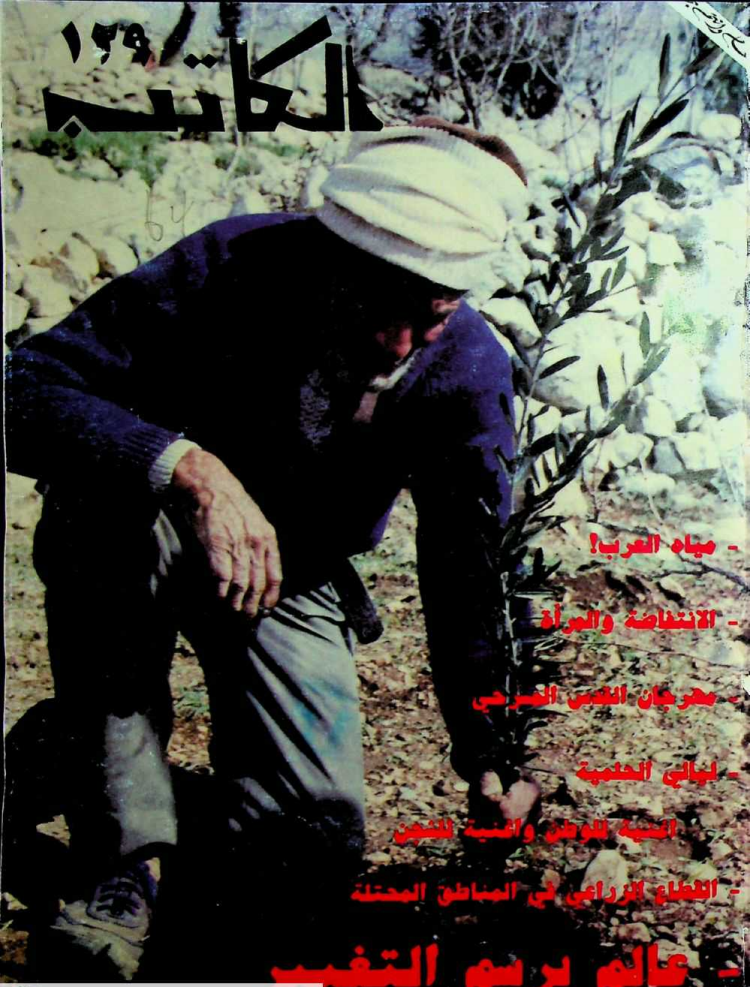

- مياه العرب!
- الانتفاضة والمرأة
- مهرجان الشعر الحر
- ليالي الحنمية
- السنة للوطن والسنة للسجن
- القطاع الزراعي في المناطق المحتلة

- عالم برسم التغيير

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الانسانية والتقدم

العدد (١٢٩) كانون الثاني ١٩٩١ - السنة الثانية عشرة - No. (129) January 1991 الثمن ٥ شاقل

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al - As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02) 856931

المحرر المسؤول
ورئيس التحرير
اسعد الاسعد

هذا العدد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

- عالم برسم التغيير. اسعد الاسعد ٢
- ميكانيزم تطبيق اتفاقية جنيف. خالد البطراوي ٤
- صورة ادارة بوش في مرآة الشارع العربي. د. اسعد عبد الرحمن ١١
- وجهة نظر حول أزمة الخليج. محمود اسماعيل ١٣
- القطاع الزراعي في المناطق المحتلة/صعوبات ومعوقات. لجنة الاغاثة الزراعية ١٦
- الصراع العربي الاجنبي على مياه الانهار. احسان مصطفى ١٩
- ابن خلدون/حول السياسة الاقتصادية. ديتر فايس ٢٥
- الانتفاضة وبعض قضايا المرأة الاجتماعية ٣١
- قائمة باسماء شهداء الشهر السابع والثلاثين للانتفاضة ٣٥
- أزمة المثقف في "الجانب الآخر لأرض الميعاد". صافي صافي ٣٦
- قراءة في قصيدة امل دنقل. د. وائل ابو عرفة ٣٩
- فرق الفن الشعبي والوعي بالتراث الشعبي. هادي القدسي ٤٢
- ملف عن مهرجان القدس المسرحي ٤٤
- ليالي الحلمية. اغنية للوطن واغنية للشجن.. واغنية للجراح! ٥٢
- شيء للتحدي/ قصة. يعقوب الاطرش ٥٦
- لا تخبروا مدينتي بما حدث ليلة امس/ قصة. وليم فوسكرجيان ٥٨
- زنابق الفكر/ شعر. جبران الصغير ٥٩

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

القدس - هاتف: ٠٢/٨٥٦٩٣١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

اول الكلام

تبدأ مجلة "الكاتب" بهذا العدد، سنتها الثانية عشرة، وان كان من حقنا ان نزهو ونفاخر، فأول ما يجب ان يقال، اننا استطعنا خلال هذه السنوات من عمر "الكاتب"، ان نرقى بالمستوى المهني والعلمي للمجلة، وان نحقق قسطا كبيرا من مهمتنا العسيرة والشاقة، رغم المصاعب والعثرات الكثيرة.

وها نحن نخطو خطوة اخرى، في محاولة جادة لتوسيع دائرة المساهمين "كتابا وقراء" في ازدهار المجلة وتطورها، نفتح صفحاتها امام كل راغب في الاسهام بما فيه خير المصلحة العامة لهذا الوطن، الذي لا ندين ولن ندين لاحد سواه، وحتى يتحقق هدفنا، في جعل "الكاتب" منبرا وطنيا مستقلا، جريئا، وناقدا، فاننا نتوجه الى الحريصين على حرية الكلمة، وديمقراطية التعبير، لاجل خلق ثقافة وطنية وتقدمية، تسهم في التأسيس لحركة ثقافية فكرية ديمقراطية، كي يسهموا في بناء هذا الصرح، واعلاء مكانته، وتعزيز دوره، وتكريس الانتماء لهذا الوطن، ولهذا الشعب، ولهذه الامة.

المحرر

Digitized by Birzeit University Library

عالم برسم التغيير

اسعد الاسعد

قبل ايام معدودة، ودع العالم عاما آخر من عمر البشرية، غير ان هذا العام الذي مضى، سوف يدخل التاريخ، على انه احد الاعوام الهامة في التاريخ البشري، ذلك ان مرحلة جديدة، باتت ملامحها بادية للعيان، اثر الاعلان في نهاية شهر تشرين الثاني الماضي، عن انتهاء الحرب الباردة، في مؤتمر باريس الذي حضره ممثلو اربع وثلاثين دولة غربية، بضمنها، دول ما كان يعرف بالمنظومة الاشتراكية.

غير ان الحدث الاكثر اهمية، على الصعيد العالمي، ما يعرف اليوم بازمة الخليج، والتي نتجت عن اصطفاف العالم الغربي والشرقي، خلف الولايات المتحدة، ضد العراق، حيث نجحت الادارة الاميركية، في جر الكثيرين، بقدر او بآخر، لفرض الشرعية على غزوها للخليج العربي، ونشر ما يقرب من نصف مليون جندي على اراضي الجزيرة العربية، بحجة ردع "العدوان العراقي"، واجبار العراق على الانسحاب من الكويت.

ومع ان اندلاع الحرب بات وشيكا حسب تقدير الخبراء والعارفين ببواطن الامور، الا ان احدا لا يمكنه التأكيد على حتمية وقوع الحرب، ذلك ان عوامل عديدة، تضغط باتجاه احتمالات الحرب، ومن جانب آخر، فان هناك عوامل اخرى عديدة، تجعل الامر على غير ما يتوقع هؤلاء.

واذا كنا ندرك، بأن حربا في العقد الاخير من القرن العشرين، ستكون مختلفة عما سبقها من حروب، شكلا ومضمونا، فان الاثار التي ستخلفها مثل هذه الحرب، هي اكثر ما يجب ان يشدنا الى ازمة الخليج وما سيترتب عليها، سواء حلت سلما ام حربا.

ففي ظل الفوضى وسياسة التراجع السريع، التي تتميز بها سياسة الاتحاد السوفييتي في السنوات الاخيرة، استطاعت الولايات المتحدة، ان تتبوأ مركز القيادة الدولية، والسيطرة على مؤسسة الامم المتحدة، ومجلس امنها، حيث اصدرت اثني عشر قرارا ضد العراق، خلال الفترة الممتدة من الثاني من شهر آب الماضي، وحتى نهاية العام الماضي ١٩٩٠، ولعل اهم هذه القرارات، كان القرار الاخير الذي حمل الرقم "٦٨٠" والذي يعطي الحق باستخدام القوة لاجبار العراق على الانصياع لرغبة الولايات المتحدة والدول الحليفة لها. ويحدد الخامس

Digitized by Birzeit University Library

عشر من شهر كانون الثاني الحالي، موعدا نهائيا لتحقيق ذلك، والا فان لهذه الدول، الحق في ضرب العراق، واخراجه بالقوة من الكويت.

لا اريد الخوض في اهلية واحقية هذه الدول، للقيام بمثل هذا الاجراء، فالامور من اولها، تبدو واضحة، واهداف الحلف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، واضحة ايضا، وكتب عنها الكثير، وبضمنها تأمين النفط، وعدم السماح للعراق بالتحول الى قوة اقليمية مؤثرة في المنطقة، من شأنها اعاقة الخطط الاساسية للولايات المتحدة وحلفائها، غير ان عاملا جوهريا، برز خلال الشهر الاخير من العام الماضي، اثر استقالة وزير خارجية الاتحاد السوفييتي شفارنادزه - والذي يدا في الفترة الاخيرة، كانه احد موظفي الادارة الامريكية ومعتمدها لدى الاتحاد السوفييتي - حيث برزت مخاوف حقيقية من انهيار الوضع، وتفاقم الازمة هناك، والاطاحة بغورباتشوف، ومن ثم دخول الاتحاد السوفييتي في حالة من الفوضى، قد تؤدي الى تغيير مسار السياسة السوفييتية التي رسمها غورباتشوف، والتي قد تضطر الولايات المتحدة وحلفائها، الى اعادة النظر في خططها، بعد ان قطعوا شوطا كبيرا في تطويع وتطبيع الوضع في الشرق، ومن هنا يجب النظر الى تعزيز القواعد العسكرية الامريكية، وقواعد حلف الاطلسي في تركيا، وهو ايضا ما حاول بعض العسكريين السوفييت التنبيه اليه، من غير جدوى.

واذا اخذنا ما نشرته احدى الصحف المغربية مؤخرا، لنص الاتفاق الذي جرى بين بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة، والرئيس السوري حافظ الاسد، والذي يشير الى اتفاق الطرفين على تقسيم جديد للمنطقة، وبعض المؤشرات التي وقعت مؤخرا، وخصوصا ما حدث في لبنان، وما حدث في تشاد، علينا ان ندرك المدى الخطير، الذي الت اليه الاوضاع، وافاق الخارطة الجديدة للمنطقة بأسرها، وادوار اللاعبين فيها - الرئيسيين، والثانويين، وكذلك الاحتياط - وضمن هذا التسلسل، يقفز الى السطح، تصور اخر لسيناريو الاحداث، يشير الى احتمال قيام العراق بالمبادرة في شن الحرب، اذ ان وقع الضربة على العراق نفسه، سيكون اقل خطورة، في حالة كهذه، ومن شأنها ان تجعل الحرب طويلة ومريرة، وهو امر لا يريد الاميركيون ان يضطروا الى الوقوع فيه.

ومع ان الحديث عن الحرب، يبدو احيانا ملهاة، بعيدة عن الواقع المر الذي يمكن ان يحدث، الا ان افاق تسوية سلمية، تبدو ممكنة في بعض الاحيان، وهو ما ترغب به حقا بعض الدول الاوروبية الحليفة للولايات المتحدة - فرنسا وايطاليا - غير ان السؤال الذي يظل عالقا بانتظار جواب، الى اي مدى يمكن للعراق، ان يصمد في وجه هذا التحالف الدولي ضده؟ في وقت تمزق فيه العالم العربي، الى عالمين - وربما اكثر - عالم فقير، يقف الى جانب العراق، وعالم غني، يقف ضده، والشعب العربي، يقف عاجزا عن فعل شيء، غير الاعلان عن تضامنه مع العراق، في وجه الغزو الامريكي، وهو يرى الخطر يتهدد الامة العربية من كل جانب، ولا حول له ولا قوة، وهو الذي، لم يعد يعطي ثقته كلها، وان لا يراهن على حصان عربي الى اخر الشوط، بعد ان ذاق الامرين من مراهناته، واحبطته سياسات ونهج الانظمة العربية المختلفة.

وسط هذا الزحام المتلاطم، يقف الشعب الفلسطيني، لتضيف اليه ازمة الخليج، اعباء جديدة، لا يجد فكاكا منها، ولتؤكد من جديد، ان القضية الفلسطينية، هي في صلب القضايا العربية، بل انها مركزها واساسها، وهي بالتالي قضية قومية، تخص العالم العربي برمته، ولا يمكن حلها بمعزل عن حل المشاكل والازمات العربية الاخرى، تماما مثلما لا يمكن حل الازمات العربية وبضمنها ازمة الخليج دون ربط هذا الحل بالقضية الفلسطينية، وهو ما ترفضه الحكومة الاسرائيلية، والادارة الاميركية وشركاؤها في ازمة الخليج، وبضمنها الشركاء العرب.

ان اصرار الادارة الاميركية، على عدم ربط القضايا المتعددة في الشرق الاوسط، ورفض التعامل معها بنفس المنظور، يؤكد الاهداف التي تسعى اليها الحملة المسعورة ضد العراق، ويضيف - في الوقت ذاته - ابعادا جديدة، للمرحلة القادمة التي تنتظر الامة العربية، وتكشف عجز هذه الامة - على الصعيدين الرسمي والشعبي - على النهوض بمسؤولياتها، لمواجهة الاحتمالات القائمة، مما يتطلب اعادة النظر، في البناء الاساسي العام، للقوى والتنظيمات السياسية في العالم العربي، بكل تفاصيله واشكالياته، وهو امر لا يزال بعيد المنال، ذلك ان عجز هذه القوى والاحزاب والتنظيمات، لا يقل عن عجز الانظمة نفسها - ان لم يكن اكثر - فهي لا تزال تراوح مكانها، ولا تملك جوابا شافيا لجماهيرها، مما يفقدها القدرة على التأثير، واخذ زمام الامور بيدها.

وعليه فان الحاجة الى تحرك سريع ومسؤول، يبدو الان اكثر الحاحا، وهي مهمة شاقة وصعبة، لكن ما يجري، يستحق الجهد المطلوب، واكثر.

هكذا، تبدو الصورة بشكل مأساوي، وفي الوقت ذاته، تبدو - اذا ما تحمل الجميع مسؤولياته - فرصة سانحة، لاعادة صياغة الامة العربية ومرتكزاتها القومية، واثبات قدراتها على النماء والتطور، بعيدا عن الرومانسية، اذ ان من يعتقد بان العراق وحده، هو هدف الغزو الاجنبي، جد واهم وساذج، ومن يعتقد، ان العراق وحده قادر على صد المعتدي، والوقوف في وجه حملة كهذه، بالرومانسية والبساطة التي قد يعتقد بها البعض، لا شك واهم، فالامر يتطلب وقفة قومية - رسمية وشعبية - وهي اهم الشروط الموضوعية، لنجاح خروج العراق والامة العربية باسرها، من محنتها، بشكل مشرف، والتغلب على المؤامرات التي تحاك ضدها، والتقدم نحو اعادة بناء الامة العربية، بشكل يضمن تطورها، وتقدمها وازدهارها، وتبوئها موقعا لائقا بين الامم.

Digitized by Birzeit University Library

ميكانيزم

تطبيق اتفاقية جنيف

الرابعة

خالد البطراوي

مخاض عسير

قدم السكرتير
العام للأمم المتحدة، خافيير بيريس ديكويار
تقريره الى مجلس الأمن حول أحداث المسجد الأقصى
التي وقعت في الثامن من شهر تشرين الاول ، وأسفرت
عن مقتل ١٧ فلسطينيا في باحة الحرم
الشريف، واصابة العديد بجراح.
ومما جاء في حيثيات تقريره، اقتراحا يعبر عن رغبة الامين
العام، في دعوة كافة الأطراف الموقعة على اتفاقية جنيف الى
اجتماع خاص لبحث اجراءات يمكن لهذه الدول اتخاذها لضمان تنفيذ الاتفاقية.

لقد جرى التفاوض على اتفاقية جنيف بين الاعوام ١٩٤٥ و ١٩٤٩، تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الاحمر، لقد جاء هذا التفاوض نتيجة لظهور حاجة ملحة، قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، الى تحسين

Digitized by Birzeit University Library

المعاهدات الانسانية القائمة في ظروف النزاعات المسلحة (الحروب). وقد بادرت سويسرا في العام ١٩٤٠ الى الاعلان آنذاك عن نيتها في الدعوة الى مؤتمر دبلوماسي دولي بشأن هذه المسألة، وقد استبقتها ألمانيا (الهتلرية) باعلان الحرب مما أحبط المشروع.

لقد حتمت ظروف الحرب آنذاك، ضرورة احياء والعمل باتفاقية معاملة أسرى الحرب التي وقعت عام ١٩٢٩ (اتفاقية جنيف لعام ١٩٢٩). ثم وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في العام ١٩٤٥، باشرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بموافقة الحكومات والجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، باعداد صيغة منقحة لثلاث اتفاقيات ألا وهي:-

١- اتفاقية جنيف لعام ١٩٢٩ لتحسين حال الجرحى والمرضى بالجيوش في الميدان.

٢- اتفاقية لاهاي العاشرة لعام ١٩٠٧ بشأن تطبيق مبادىء اتفاقية جنيف لعام ١٩٠٦ على الحرب البحرية.

٣- اتفاقية عام ١٩٢٩ بشأن معاملة أسرى الحرب.

اضافة الى ذلك، برزت أهمية صياغة اتفاقية لحماية المدنيين وقت الحرب.

لذلك، وفي سبيل تحقيق النجاح في مهمتها، قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بتجميع المعلومات الأولية حول جوانب ينص عليها القانون الدولي التي يلزم التأكيد عليها و/أو استكمالها و/أو تعديلها، كما واستأنست بآراء خبراء من مختلف الدول لوضع اتفاقيات منقحة و/أو جديدة، بهدف تقديمها في وقت لاحق الى المؤتمر الدولي للصليب الأحمر وعرضها في نهاية المطاف على مؤتمر دبلوماسي ذو صفة اقرارية.

لقد عقدت اجتماعات ثلاث شكلت مدخلا رئيسيا لاقرار الاتفاقية، الاجتماع الأول عقد في تشرين الأول لعام ١٩٤٥ وضم مجموعة من الأعضاء المحايدين في اللجان الطبية المختلطة التي قامت أثناء النزاع العالمي بزيارة الجرحى والمرضى من أسرى الحرب والبت في امكانية اعادتهم الى أوطانهم. الاجتماع الثاني كان عبارة عن مؤتمر تمهيدي للجمعيات الوطنية للصليب الأحمر لدراسة الاتفاقيات ومختلف المشكلات المتعلقة بالصليب الأحمر وعقد في تمـــوز وآب ١٩٤٦. والاجتماع الثالث عقد في الفترة ما بين الرابع عشر والسادس والعشرين من نيسان ١٩٤٩ وعرف باسم "مؤتمر الخبراء الحكوميين لدراسة اتفاقيات حماية ضحايا الحرب"، الذي ضم سبعين ممثلا أوفدتهم خمس عشرة حكومة كانت تحتجز أثناء الحرب العالمية العديد من الأسرى والمعتقلين المدنيين.

اضافة الى ذلك سعت اللجنة الدولية الى طرق العديد من الأبواب، كان من بينها المشاورات الخاصة التي أجرتها في آذار ١٩٤٧ مع ممثلي المؤسسات الدينية والعلمانية، وايفادها مندوبين في حزيران ١٩٤٧ الى بعض الدول لمعرفة آراءها، ثم دعوتها في ٢ آب ١٩٤٨ للمؤتمر الدولي السابع عشر للصليب الأحمر الذي حضره ممثلو خمسين حكومة وسبعين جمعية وطنية، والذي اعتمدت المشاريع التي قدمت اليه.

مؤتمـــر جنيـــف ١٩٤٩

عقد المؤتمر ما بين الحادي والعشرين من نيسان والثاني عشر من آب ١٩٤٩ وحمل عنوان "المؤتمر الدبلوماسي لوضع اتفاقيات دولية لحماية ضحايا الحرب". لقد عقد المؤتمر بدعوة من المجلس الاتحادي السويسري بوصفه راعيا لاتفاقيات جنيف، ومثلت في هذا المؤتمر رسميا ثلاث وستون دولة من بينها تسع وخمسون دولة أوفدت مفوضين للمناقشة وأربع حكومات أوفدت

Digitized by Birzeit University Library

مراقبين. لقد توصل المؤتمر الى اعتماد الاتفاقيات الأربع التالية:-

الاتفاقية الأولى:- اتفاقية جنيف لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩.

الاتفاقية الثانية:- اتفاقية جنيف لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩.

الاتفاقية الثالثة:- اتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩.

الاتفاقية الرابعة:- اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩.

وبهدف عدم الاطالة والاسهاب، فاننا سنقوم بالتركيز على اتفاقية جنيف الرابعة:

اتفاقية جنيف الرابعة (بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب)

تستهدف اتفاقية جنيف الرابعة الى التأكيد على أن كرامة الشخص وانسانيته يجب أن تصان وتحترم حتى في ظل النزاعات المسلحة والحروب. ففي اتفاقات سابقة وتحديدا اتفاقية جنيف لعام ١٨٦٤ تم وضع وارساء أسس لحماية المقاتلين فقط، كذلك اقتصرت تعليمات اتفاقية لاهاي الرابعة لعام ١٩٠٧ على تعليمات تؤكد مبدأ التزام دولة الاحتلال باتخاذ "جميع التدابير التي في استطاعتها اقرار وتأمين النظام والحياة العامة والتزامها باحترام القوانين السارية في البلد الا في حالة الموانع الحتمية". ..

ومن الضروري الاشارة الى أن اتفاقية جنيف الرابعة والاتفاقيات الأخرى التي أقرت في مؤتمر جنيف الدبلوماسي، لا تلغي بأي حال من الأحوال التعليمات المتعلقة بقوانين وعادات الحرب البرية، وهي لا تحل محل ذلك الصك الذي لا يزال ساريا. اذ تنص المادة ١٥٤ من اتفاقية جنيف الرابعة على:-

"بالنسبة للعلاقات القائمة بين الدول المرتبطة باتفاقية لاهاي المتعلقة بقوانين وعادات الحرب البرية، سواء المعقودة في ٢٩ تموز/يوليه ١٨٩٩ والمعقودة في ١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٠٧، والتي تشترك في هذه الاتفاقية، تكمل هذه الاتفاقية القسمين الثاني والثالث من اللائحة الملحقة باتفاقيتي لاهاي المذكورتين."

تقع اتفاقية جنيف الرابعة في مائة وتسعة وخمسين مادة بالاضافة الى ثلاثة ملاحق. وتحظر الاتفاقية على الأخص الأعمال التالية:-

أ- الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية، ولا سيما التعذيب، والتشويه والمعاملة القاسية.

ب- النفي .

ج- الاعتداء على الكرامة الشخصية .

د- أخذ الرهائن .

ه- اصدار الأحكام والعقوبات دون حكم سابق تصدره محكمة منعقدة بصورة قانونية.

المواد من ١ - ١٢ من اتفاقية جنيف الرابعة (الباب الأول)، عبارة عن أحكام عامة، من بينها المادة الرابعة التي تعرف "بالأشخاص المحميين" في الاتفاقية، والمادة الثامنة التي تحرم التنازل عن الحقوق.

الباب الثاني يتعلق بالحماية العامة للسكان من عواقب الحرب ويقع في ١٤ مادة (المواد من ١٣ حتى ٢٦) ويتضمن تدابير خاصة لصالح الأطفال (المادة ٢٤) وتدابير خاصة للعائلات المشتتة (المادة ٢٦).

الباب الثالث مكرس لبحث أوضاع الأشخاص المحميين ومعاملتهم، ويقع في خمسة أقسام، (وتغطيها المواد من ٢٧ وحتى ١٤١، ومن أهم المواد، المادة ٣٢ التي تحظر العقوبات البدنية والتعذيب) المادة ٣٣ التي تتعلق بالمسؤولية الفردية، العقوبات الجماعية، السلب، الاقتصاص، المادة ٤٥ المتعلقة بالنقل الى دولة أخرى، المادة ٤٩ الخاصة بالنفي، النقل، والاخلاء، وغيرها.

الباب الرابع يتعلق بتنفيذ الاتفاقية ويقسم الى قسمين وتغطيه المواد من ١٤٢ وحتى ١٥٩ ومن أهم هذه المواد المادة ١٤٦ التي تحدد العقوبات الجزائية والمادة ١٤٧ المتعلقة بالمخالفات الجسيمة. تنص المادة ١٤٦ على:-

المـــــــادة ١٤٦

"تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تتخذ أي اجراء تشريعي يلزم لفرض عقوبات جزائية فعالة على الأشخاص الذين يقترفون أو يأمرون باقتراف احدى المخالفات الجسيمة لهذه الاتفاقية، المبينة في المادة التالية.

يلتزم كل طرف متعاقد بملاحقة المتهمين باقتراف مثل هذه المخالفات الجسيمة أو بالأمر باقترافها، وبتقديمهم الى محاكمة، أيا كانت جنسيتهم. وله أيضا، اذا فضل ذلك، وطبقا لأحكام تشريعه، أن يسلمهم الى طرف متعاقد معني آخر لمحاكمتهم ما دامت تتوفر لدى الطرف المذكور أدلة اتهام كافية ضد هؤلاء الأشخاص.

على كل طرف متعاقد اتخاذ التدابير اللازمة لوقف جميع الأفعال التي تتعارض مع أحكام هذه الاتفاقية بخلاف المخالفات الجسيمة المبينة في المادة التالية:-

وينتفع المتهمون في جميع الأحوال بضمانات للمحاكمة والدفاع الحر لا تقل ملاءمة عن الضمانات المنصوص عنها بالمواد ١٠٥ وما بعدها من اتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب، المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩.

Digitized by Birzeit University Library

المـــــــادة ١٤٧

"المخالفات الجسيمة التي تشير اليها المادة السابقة هي التي تتضمن أحد الأفعال التالية اذا اقترفت ضد أشخاص محميين أو ممتلكات محمية بالاتفاقية: القتل العمد، والتعذيب أو المعاملة اللاانسانية، بما في ذلك التجارب الخاصة بعلم الحياة، وتعمد احداث آلام شديدة أو الإضرار الخطير بالسلامة البدنية أو الصحة، والنفي أو النقل غير المشروع، والحجز غير المشروع، واكراه الشخص المحمي على الخدمة في القوات المسلحة بالدولة المعادية، أو حرمانه من حقه في أن يحاكم بصورة قانونية وغير متحيزة وفقا للتعليمات الواردة في هذه الاتفاقية، وأخذ الرهائن، وتدمير واغتصاب الممتلكات على نحو لا تبرره ضرورات حربية وعلى نطاق كبير بطريقة غير مشروعة وتعسفية."

ومن الضروري - لخدمة غرض المقالة - ايراد نص المادة الأولى من الاتفاقية التي تنص على:-

"تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تحترم هذه الاتفاقية وتكفل احترامها في جميع الأحوال".

ومن الضروري الاشارة أيضا، الى أنه وفي وقتنا الحالي، قد وقعت ١٦٤ دولة على اتفاقية جنيف الرابعة بما فيها اسرائيل.

الموقف الاسرائيلي من اتفاقية جنيف الرابعة

كما ورد ذكره أعلاه، فقد وقعت اسرائيل اتفاقية جنيف الرابعة. لقد اعترفت اسرائيل في أوائل حكمها للضفة الغربية (وكذلك الأمر قطاع غزة) بانطباق تلك الاتفاقية على الأراضي التي تحتلها. ففي السابع من حزيران ١٩٦٧ م (أي يوم دخول الجيش الاسرائيلي الى الضفة الغربية) أصدرت اسرائيل ثلاثة بلاغات عسكرية، أعلن الأول دخول الجيش الاسرائيلي للمنطقة، وأعلن الثاني تولي قائد المنطقة كافة السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، فيما أعلن الثالث انشاء وتشكيل المحاكم العسكرية. لقد أعلنت هذه البلاغات، أن اسرائيل تعتزم تطبيق مواد معاهدات جنيف، اذ تنص المادة ٣٥ من البلاغ الثالث على "أنه ينبغي للمحكمة العسكرية ورجالها "تطبيق أحكام معاهدة جنيف المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩ بخصوص حماية المدنيين أثناء الحرب بصدد كل ما يتعلق بالاجراءات القضائية. واذا وجد تناقض بين هذا الأمر وبين المعاهدة المذكورة، فتكون الأفضلية لأحكام المعاهدة". الا أنه بعد أربعة أشهر، وبموجب الأمر العسكري ١٤٤، جرى حذف المادة ٣٥ من البلاغ الثالث، ثم وفي العام ١٩٧٠، أستبدل البلاغ الثالث برمته بالأمر العسكري رقم ٣٧٨ الذي خلا من أية اشارة الى معاهدة جنيف.

سجناء الحرية في احد المعتقلات الاسرائيلية

لقد قدم بعض خبراء اسرائيل القانونيين مجموعة من المبررات لاغفال اسرائيل تطبيق اتفاقيات جنيف، علما بأنها - أي اسرائيل - لم ترفضها صراحة. وكان من أبرز القانونيين الاسرائيليين، المبررين لهذا "التغاضي" يهودا بلوم، الذي كان عندئذ محاضرا في القانون الدولي في الجامعة

Digitized by Birzeit University Library

العبرية، حيث قدم مجموعة من حجج أذكر منها ثلاث حجج:-

الذريعة الأولى:- يعتبر أن اتفاقية جنيف الرابعة لا تطبق الا اذا حل المحتل محل الحكم الشرعي. ويقول بلوم أن المملكة الأردنية التي حكمت الضفة الغربية لم تكن الحاكم الشرعي.

الذريعة الثانية:- ان حرب اسرائيل عام ١٩٦٧ كانت بمثابة حرب دفاعية، فان اسرائيل أحق بذلك بالأرض من الأردن.

الذريعة الثالثة:- يجب أن تعفى اسرائيل من تطبيق اتفاقية جنيف، حيث أن احتلالها فريد من نوعه.

وبعبارة أخرى، فان اسرائيل لا تقبل معاهدة جنيف الرابعة قبولا قانونيا، لكنها تزعم أنها تطبق موادها الانسانية تطبيقا فعليا، ولا يزال هذا هو موقف اسرائيل الرسمي - حتى كتابة هذه السطور - . ومن الضروري الاشارة الى أن ادعاء اسرائيل بتطبيقها مواد اتفاقية جنيف الرابعة الانسانية، هو ادعاء زائف، اذ نفذت اسرائيل سياسة الابعاد، وتمارس سياسات العقوبات الجماعية، هدم المنازل، اقامة المستوطنات وغيرها.***

نحو استراتيجية لتطبيق القانون الدولي في الأراضي الفلسطينية المحتلة

ازاء الموقف الاسرائيلي الوارد أعلاه، وازاء الانتهاكات الاسرائيلية المتواصلة لحقوق الانسان الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة وخارجها، وازاء الانتهاكات الاسرائيلية المتكررة لاتفاقية جنيف الرابعة، ازاء ذلك كله، يتبادر الى الذهن سؤال عريض "ما العمل اذن؟".

ان الاجابة على هذا السؤال العريض، مسألة ليست بالسهلة، فهي متعددة الاتجاهات، وكثيرة الخيارات ومعقدة بتعقد الوضع الدولي وازدواجية معاييره في العديد من بقاع العالم، رغم تشابه الظروف الى حد ما.

سوف أحاول وضع مدخل لاستراتيجية عمل نحو تطبيق القانون الدولي في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وأرغب في البداية الاشارة الى حقيقتين هامتين، الأولى: ترى أن المحرك المنشيء لميكانيزم "آلية" لتطبيق القانون الدولي، هو نشاط كل فلسطيني في الداخل، وفي الخارج، بصورة منفردة وأخرى مجتمعة، للاقناع بالقدرة على ايجاد هذه الآلية. الثانية:- ترى أن هذه المسألة ليست منوطة بالمهتمين الفلسطينيين، لا بل بالعرب عموما ومجتمع حقوق الانسان العربي خصوصا، وكذلك بمجتمع حقوق الانسان الدولي على نحو أكثر شمولية.

يمكنني تقسيم خيارات واتجاهات العمل لتطبيق القانون الدولي واحقاق حقوق الانسان الفلسطيني في ثلاثة اتجاهات رئيسية:-

الأول:- الخيار البرلماني والحكومي.

الثاني:- الخيار غير الحكومي.

الثالث:- الضوابط "الآليات" القضائية.

أولا:- الخيار البرلماني والحكومي:-

انه وباستطاعة البرلمانيون في الدول حيث يوجد برلمانات، انتهاج خيارات عدة لتطبيق حقوق الانسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ومع أن البرلمانيين يشعرون على الدوام بمحدودية تأثيرهم على السياسة الخارجية، الا أنه يلمس على الدوام ادانة برلمانات عدة للانتهاكات الاسرائيلية في الأراضي المحتلة. وعليه، باستطاعة البرلمانيون تقديم الاستجوابات الكتابية للفت النظر ازاء انتهاك معين والحصول على موقف رسمي من حكوماتهم. وهذا يتطلب في الجانب المحلي اقامة أوسع صلات مع البرلمانيين في مختلف الدول، وتزويدهم على الدوام بمعلومات دقيقة موثقة حول الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان الفلسطيني، وتسليط الأضواء على أبرز هذه الانتهاكات والاشارة الى نصوص في القانون الدولي والقانون الانساني الدولي لابراز عظم الانتهاك. بالاضافة الى ذلك، فانه بالامكان دعوة مجموعة من أعضاء البرلمانات الى الأراضي المحتلة لمشاهدة الانتهاك والتأكد منها بأعينهم. بالامكان أيضا لفت نظر أعضاء البرلمانات الى ضرورة الاستعانة بالمحامين المحليين في دولهم لتقديم الحجج القانونية الدولية وتلك الخاصة في بلدهم.

ان ما طرح أعلاه هو مدخل عام، بالامكان اغناءه عبر تنظيم حلقات نقاش وحوار بهدف توسيع المدارك والآفاق. أما فيما يتعلق باتفاقية جنيف الرابعة، فانه واستنادا الى المادة الأولى من الاتفاقية، التي تلزم هذه الدول بصورة مزدوجة "بضمان احترام الاتفاقية" و "اتخاذ التدابير اللازمة لوقف جميع الأفعال التي تتعارض مع نظام هذه الاتفاقية...." وعليه، فان الأطراف السامية المتعاقدة على اتفاقية جنيف مدعوة الى القيام بالفعاليات التالية:-

أ- العمل من خلال الأمم المتحدة

ان الأطراف السامية المتعاقدة على اتفاقية جنيف الرابعة، هي أعضاء في الأمم المتحدة، وعليه يفترض في هذه الدول أن تضع نصب أعينها، أهمية القيام بعمل منسق وحاسم لالزام وضمان القوات الاسرائيلية بالتصرف بصورة قانونية في الأراضي التي تحتلها.

من الضروري تذكير الأطراف السامية المتعاقدة على اتفاقية جنيف الرابعة، بالصلاحية المنوطة بها بموجب المادة الأولى من ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وبموجب قرار "الاتحاد من أجل السلام"

Digitized by Birzeit University Library

بالتوصية واقرار وتطبيق اجراءات جماعية للحفاظ على السلام والأمن العالميين أو استعادتهما، ويشمل ذلك وضع قوة مراقبة في المناطق المحتلة وانسحاب قوات الاحتلال الى مواقع تمنع ارتكاب المزيد من الانتهاكات الخطيرة لاتفاقية جنيف الرابعة.

ان أحد القضايا التي تعتبر بالغة الأهمية، هي فشل سلطات الاحتلال الاسرائيلي، بالوفاء بالتزاماتها القانونية بوصفها قوة احتلالية تجاه حماية النظام العام وأمن الفلسطينيين في المناطق الفلسطينية المحتلة، ويتجلى ذلك اضافة الى

مسؤوليتها في ارتكاب انتهاكات خطيرة بحق اتفاقية جنيف الرابعة، عدم قيامها بكبح أعمال المستوطنين وتشجيعها للاستيطان.

ب- واجبات الدول بصورة منفردة

ان المادة الأولى من اتفاقية جنيف الرابعة تلزم الدول ليس بصورة مجتمعة فقط بل بصورة فردية في "أن تكفل احترام الاتفاقية في كافة الأحوال". وعليه، فانه يوجد لكل دولة منفردة سلطة قانونية وتفويضا بالعمل في المناطق المحتلة. انه وعلى الرغم من عدم اعتراف اسرائيل بانطباق اتفاقية جنيف الرابعة، الا أنها - أي اسرائيل - قد وقعت عليها. وهذا يعني، أنها قد قدمت للأطراف السامية المتعاقدة الأخرى تعهدا ملزما لها بالامتناع عن استخدام أو اقرار العنف العشوائي، أو الأعمال الوحشية. ان ذلك، يفرز مطالبة الشعب الفلسطيني للدول بصورة منفردة ومجتمعة لممارسة سلطتها القانونية لتفعيل الحمايات الواردة في اتفاقية جنيف الرابعة، عن طريق اتخاذ اجراءات لوقف مواصلة اسرائيل انتهاك الاتفاقية بصورة مطلقة. ان تواجد فرق مراقبة قنصلية، هو صلاحية بامكان الحكومات تخويلها الى قناصلها في الأراضي المحتلة، للقيام بعملية مراقبة نشطة وفاعلة لمدى التزام اسرائيل بالقانون الانساني، ولدى البعثات القنصلية صلاحية الدخول والتواجد في كافة مواقع الأرض المحتلة في كافة الأوقات.

تشير أحداث الأقصى والمجازر التي أرتكبت فيها، استخدام الجيش الاسرائيلي للقوة القاتلة، الأمر الذي يدعو الدول بصورة منفردة ومجتمعة، الى اجراء تحقيق مستقل ازاء هذه السياسة، ويقع على عاتق الدول واجب الطلب رسميا من اسرائيل وقف السماح لمدنيين بحمل واستخدام الأسلحة الأوتوماتيكية. اضافة الى مطالبة الدول الحكومة الاسرائيلية بوقف سياسة العقاب الجماعي، هدم المنازل، ابعاد الأشخاص المحميين وغيرها من الأفعال التي تشكل مخالفات جسيمة لاتفاقية جنيف الرابعة، حيث تلتزم المادة ١٤٦ من الاتفاقية - ورد نصها أعلاه - حكومات الأطراف السامية المتعاقدة على التحقيق مع أفراد اقترفوا أعمالا عرفت في المادة ١٤٧ بأنها مخالفات جسيمة للاتفاقية وبتقديمهم للمحاكمة في محاكمها القومية.

ان أولى الخطوات لتحقيق ذلك هو قيام الدول بصورة منفردة بما يلي:-

- تفحص الأدلة ولقاء الشهود حول المخالفات الجسيمة لاتفاقية جنيف الرابعة.
- تقديم لوائح اتهام بحق مرتكبي المخالفات الجسيمة و/أو الآمرين بارتكابها.
- البحث عن هؤلاء الأشخاص واعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة، عندما يدخلون أي من الدول الموقعة على الاتفاقية.
- اشعار الحكومة الاسرائيلية والجمهور الاسرائيلي، أن الأشخاص العسكريين اضافة الى رئيس الوزراء ووزير الدفاع قد يتعرضون للمحاكمة اذا ما تبين أنهم متورطون في ارتكاب خروقات خطيرة لاتفاقية جنيف الرابعة.****

ثانيا:- الخيار غير الحكومي

من المفترض حث المنظمات غير الحكومية الضغط على حكوماتها، بهدف الايفاء بالتزاماتها استنادا الى المادة الأولى من اتفاقية جنيف الرابعة، ويتطلب من الجانب الفلسطيني توفير الأدلة الداحضة والبراهين الموثقة للانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان وانتهاكا لاتفاقية جنيف. باستطاعة المنظمات غير الحكومية توكيل محامين لاتخاذ خطوات قانونية بحق حكوماتهم لعدم ايفائها بالتزاماتها القانونية المنصوص عليها في اتفاقية جنيف الرابعة. ومن الضروري الاشارة الى أهمية مثل هذا

Digitized by Birzeit University Library

التحرك، اذ أن التغاضي عنه يؤدي الى امعان اسرائيل في انتهاكات دون رادع.

باستطاعة المنظمات غير الحكومية، ايفاد ممثلين لها الى الأراضي المحتلة، منفردة أو مجتمعة لاجراء البحوثات والأعمال الميدانية والوصول الى استنتاجاتها وتوصياتها، باعتبارها "طرفا ثالثا" مستقلا لا يتسم بالتحيز. كما بامكان المنظمات غير الحكومية تنظيم حملات المقاطعة الاقتصادية، كحملات المقاطعة للمنتجات الاسرائيلية التي تنتج و/أو تصنع في المستوطنات الاسرائيلية، والسعي لرفض استلام أية بضاعة دون شهادة المنشأ. بالامكان أيضا شن حملة للحد من الرحلات السياحية الى اسرائيل، حيث لا تشجع بعض دول السوق الأوروبية السياحة الى جنوب افريقيا على سبيل المثال.

كذلك بامكان المنظمات غير الحكومية حث حكوماتها على ممارسة حقها في ربط علاقاتها الاقتصادية والثقافية والعلمية مع اسرائيل، حيث تشكل هذه العلاقات "مماسك مادية" "Material Leverage" لحث اسرائيل على الالتزام المنشود بمتطلبات القانون الدولي. بالاضافة الى ذلك، يوجد امكانية للمنظمات غير الحكومية لحث دولها على الالتزام الفعلي والعملي "كأضعف الايمان" بعدم دعم و/أو تمويل النشاطات والممارسات الاسرائيلية التي ينتج عنها مباشرة أو غير مباشرة استمرارية انتهاك حقوق الانسان الفلسطيني وبنود اتفاقية جنيف.

ثالثا:- الضوابط القضائية

ان اتفاقية جنيف الرابعة هي اتفاقية دولية، تقع ضمن ما يسمى ب "القانون الانساني الدولي" و "قوانين الحرب". ان عدد الدول الملتزمة بالمعاهدة أكثر من عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، كما ووقعت اسرائيل الاتفاقية.

تلتزم كافة الدول الموقعة "باحترام وضمان احترام" الاتفاقية في كافة الأحوال. وعليه، فانه يوجد واجب قانوني على اسرائيل بلزمها باحترام نصوص الاتفاقية، ويوجد أيضا واجب قانوني للأطراف السامية المتعاقدة، يلزمها بضمان احترام اسرائيل لهذه الاتفاقية، خاصة وأن "اسرائيل" هي الدولة الوحيدة التي لا تعترف بانطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضي التي تحتلها.

اذن يوجد مسؤولية دولية / فردية وجماعية / لكل الدول الموقعة على اتفاقية جنيف الرابعة. وتوجد في تشريعات بعض الدول بصورة منفردة بنود ولوائح تحدد صلاحياتها واجراءاتها المحلية بحق الدول و/أو الأفراد الذين يرتكبون مخالفات جسيمة لاتفاقية جنيف الرابعة، ومن بين هذه الدول التي تملك تشريعات محلية، بريطانيا، هولندا، ايرلندا وغيرهم. انه وبامكان أي من هذه الدول وفق تشريعاتها محاكمة الأشخاص الذين يرتكبون و/أو يأمرون بارتكاب مخالفات جسيمة لاتفاقية جنيف الرابعة، كما وبامكان هذه الدول مطالبة اسرائيل بتسليم أي شخص ارتكب و/أو أمر بارتكاب أي من المخالفات الجسيمة.

كما ويحق للدول استنادا الى المادة التاسعة من الاتفاقية بحث امكانية توكيل "دول حامية" مقبولة لدى طرفي النزاع، يعهد اليها رعاية مصالح أطراف النزاع، ويحق لهذه الدول الحامية أن تعين بخلاف موظفيها الدبلوماسيين والقنصليين مندوبين عن رعاياها، وعلى أطراف النزاع تسهيل مهمة ممثلي أو مندوبي الدول الحامية الى أقصى حد ممكن.

بالاضافة الى ذلك، يجب السعي لحث الدول على اقرار موقفها القانوني من القدس العربية ومرتفعات الجولان من حيث اعتبارها مناطق محتلة وعدم الاعتراف بضمها.*****

وبعـــد ،

ما ذكر أعلاه، ما هو سوى مجرد مجموعة من الأفكار التي قد تشكل مدخلا لايجاد استراتيجية لتطبيق القانون الدولي والقانون الانساني الدولي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والتي تشكل اتفاقية جنيف الرابعة، أحد أبرز أعمدتها.

---

* خاص بالكاتب محليا.

* للراغبين في الاطلاع الموسع على فحوى هذه الاتفاقيات، يرجى العودة الى كتاب "اتفاقيات جنيف المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩" - اصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر - جنيف ١٩٨٧ (باللغة العربية).

** المادة ٤٢ من اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧.

*** للمزيد من المعلومات أنظر رجا شحادة "قانون المحتل" - اسرائيل والضفة الغربية - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - جامعة الكويت. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٩٠.

**** لمزيد من الاطلاع:- أنظر "بيان مقدم الى الدول المتعاقدة على اتفاقية جنيف الرابعة - حزيران ١٩٩٠ - وثيقة مشتركة صدرت عن مؤسسة القانون من أجل الانسان "الحق" ومركز معلومات حقوق الانسان الفلسطيني في أعقاب مجزرة ريشون ليتسيون "عيون قارة" في العشرين من أيار ١٩٩٠.

***** لمزيد من المعلومات أنظر

Towards a Strategy for the Enforcement of Human Rights in The Israeli Occupied West Bank and Gaza - A Working Symposium - London 25 July, 1989, A Joint Publication by The Labour Middle East Council and The Conservative Middle East Council.

Digitized by Birzeit University Library

صورة ادارة بوش في مراة الشارع العربي

د. اسعد عبد الرحمن

جاء قرار الولايات المتحدة الامريكية بفتح "حوار جوهري" مع منظمة التحرير الفلسطينية قبل فترة وجيزة من اسدال الستار على الولاية الثانية للرئيس رونالد ريغان. وفي حين برر وزير الخارجية الامريكية جورج شولتز ذلك القرار باعتباره جاء في أعقاب تلبية منظمة التحرير "للشروط الامريكية، وفي حين اعتبرت "المنظمة" وحلفاؤها وأصدقاؤها القرار الامريكي انتصارا لكل قوى السلام في العالم التي نجحت اخيرا في لي ذراع ادارة ريغان واجبارها على اتخاذ ذلك القرار، أجمع المراقبون على ان القرار المذكور كان بمثابة "هدية سياسية" للرئيس / المنتخب جورج بوش، أو "دفعة سياسية" او "رافعة سياسية"، ينتظر ان تساعده وادارته على ممارسة سياسة شرق اوسطية نشطة تسهم في صنع وتنفيذ ما اسماه المهتمون والمتابعون "التسوية التاريخية" للصراع المثلث الاضلاع العربي/ الاسرائيلي/ الفلسطيني. فهل نجحت ادارة بوش - في اعين العرب - في استثمار تلك "الدفعة"؟ وفي الشارع العربي، ما هي حصيلة ما يقرب من عشرين شهرا من "جهود" الادارة الجديدة في مجال صنع "السلام" او "التسوية" في الشرق الاوسط؟

*****

منذ البداية، شهدت الاوساط العالمية والعربية ومن ضمنها الفلسطينية، انتشار سيناريو سياسي "متفائل" حقق لنفسه شعبية في العديد من صفوف تلك الاوساط وقد تلخص ذلك السيناريو بالتأكيد على فرضية أساسية قوامها ان طبيعة المرحلة الدولية (انفراج يسير حثيثا على درب انهاء الحرب الباردة وصولا الى الوفاق العالمي) وتبدل مواقف القوى العالمية (تغير صورة الفلسطينيين والعرب وأهدافهم ونواياهم لدى شعوب ودول العالم وبخاصة في الغرب وفي الولايات المتحدة تحديدا وفي اوساط الجاليات اليهودية) ومواقف القوى الاقليمية (الانتفاضة ومشروع السلام العربي والفلسطيني والانقسام الحاد في المجتمع السياسي الاسرائيلي... الخ) كل هذه العوامل الكبرى بدت وكأنها بمثابة رياح تصب هوائها في أشرعة سفينة "التسوية التاريخية" لانهاء الصراع الفلسطيني/ الاسرائيلي/ العربي. وطبعا، كان جوهر هذه الفرضية - وما زال - يقول بمشروع "تسوية تاريخية" وليس مشروع "سلام عادل" وعلى قاعدة "انقاذ اسرائيل من تطرفها وحلمها باسرائيل الكبرى" بعد أن تحرك العرب ومنظمة التحرير بعيدا عن "تطرفهم وحلمهم بدولة فلسطين العربية الكبرى" ومما ساعد في تمدد الآمال وفي

Digitized by Birzeit University Library

ارتفاع منسوب التفاؤل كون ادارة ريغان، وبغض النظر عن الحيثيات والعوامل والنوايا، قدمت لادارة بوش تلك "الهدية السياسية" المتمثلة بفتح الحوار مع المنظمة. كذلك، فان ذلك التحول الامريكي الدراماتيكي تواكب مع انتشار "سمعة عطرة" للرئيس بوش فحواها أن الاخير ضليع في شؤون المنطقة والعالم بوصفه سياسيا مخضرما (رئيس هيئة جهاز مخابرات السي. آي. ايه. ونائب الرئيس الامريكي لسنوات طوال) وباعتباره واقعيا متمرسا.. مقابل الرئيس ريغان صاحب السمعة الايديولوجية المتشنجة الفجة. بل ان كون الرئيس بوش لم ينجح في معركة الرئاسة بأصوات الجالية اليهودية، وكونه (ووزير خارجيته القوي جيمس بيكر كذلك) من نتاج ولاية تكساس "الواسب" (White Anglo-Saxon Protestant) المعتزين بوطنيتهم الامريكية قبل واكثر من اي شيء آخر، كل ذلك عاد فعزز المخاوف الاسرائيلية وخصوصا الليكودية، مثلما عزز الآمال العالمية عموما، والآمال العربية/ الفلسطينية خصوصا، بأن "التسوية قادمة لا ريب فيها". وكانت هذه هي ابرز معالم الصورة يومئذ، اللهم باستثناء ما كانت تقول به "اقلية جذرية" في الوسط العربي والفلسطيني على حد سواء.

*****

هذه "الاقلية الجذرية" قدمت من جانبها سيناريوها خاصا بها ليس فيه اي تفاؤل او تجديد في الموقف بقدر ما فيه ثبات على الموقف الكلاسيكي القديم. وفي هذا السياق، انصب الحديث على مقولة قديمة/ جديدة مؤداها ان "اسرائيل هي امريكا" او أن "امريكا هي اسرائيل"، وان "الامل في امريكا اشبه ما يكون بالامل في دخول ابليس الجنة". وقد اتكأت هذه المقولة على تاريخ طويل من العداء الامريكي تعززه شواهد متلاحقة متتابعة ومتسارعة على ذلك العداء منذ ١٩٤٢ وبالذات منذ ١٩٦٥. وسواء استند هذا الطرح على فرضية ان الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة منذ العام ١٩٤٥ دعم ويدعم "اسرائيل" باعتبارها قاعدته الامامية لضرب الوحدة العربية ولممارسة دور "الشرطي" في المنطقة، او استند الى فرضية ان "اللوبي الصهيوني" او "اللوبي اليهودي" قد نجح منذ زمن "بالامساك بخناق" الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا، او كان مزيجا من الفرضيتين، فان النتيجة واحدة وملخصها انه "لا ثقة بامريكا، ولا ثقة بامكانية تغير موقفها، وبالتالي لا ثقة بأن "التسوية"، ناهيك عن "السلام"، معروضة على احدا بل ان العرض الوحيد القائم امريكيا هو "الاستسلام"، وعلى العرب ان يقرروا فيما اذا كانوا يرضون بهذا العرض ام انهم يختارون المواجهة ومواصلة الصدام والكفاح. وعليه، فان "مشروع السلام العربي" - في اعين اصحاب هذا السيناريو - لا يعدو كونه "تنازلا مجانيا" عن الحق العربي، مثله مثل "المبادرة الفلسطينية" التي هي "الاستسلام" بعينه و "بيع" للوطن الفلسطيني. وفي هذا السياق، فان الحوار الذي اعلنت عنه الولايات المتحدة لا يتجاوز "الفتات السياسي" المقدم للعرب وللمنظمة مقابل الثمن الغالي الذي "تبرعوا" به، بل ان ذلك الحوار هو "المصيدة السياسية" المجهزة للايقاع نهائيا بالمنظمة ولشراء المزيد من الوقت لاجهاض الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الدائرة على قدم وساق في المناطق المحتلة منذ نهاية ١٩٨٧! ومع ذلك، بقي اصحاب هذا السيناريو الثاني في حدود "الاقلية" بفضل كل قوى الدفع العالمية والاقليمية والمحلية التي ساعت و/أو قبلت بالسيناريو الاول وروجت له. والواقع انه مع الايام الاولى من ادارة الرئيس بوش بدأ وكأنه ليس في "الساحة السياسية" سوى السيناريو الاول. وقد الكاسحة. فماذا حدث بعد ذلك؟

*****

لا حاجة بنا هنا للتوقف طويلا امام حقيقة الدوافع والاسباب التي ادت الى سلسلة المواقف الامريكية، على صعيدي الادارة والكونغرس، المعادية للمنظمة وللفلسطينيين وللعرب، بدء بتحجيم "الحوار" وتهميشه وافراغه من محتواه... مرورا بعدم منح الرئيس ياسر عرفات فيزا للمشاركة في مناقشات الامم المتحدة، واستخدام الفيتو المرة تلو المرة، والمساواة بين الجلاد الاسرائيلي والضحية الفلسطينية في معركة الانتفاضة وغيرها وسحب التصريحات المؤيدة للعرب والفلسطينيين قبل ان يجف حبرها.. وانتهاء بالمساعدات العسكرية والاقتصادية والمالية الامريكية المتنامية للدولة الصهيونية، والاعتراف "بالقدس الموحدة عاصمة ابدية لاسرائيل"، ورفض ممارسة الضغوط لمنع انتصار الليكود وغيره من القوى الاكثر ايغالا في اليمين والعدوان، والحملة على العراق، واهانة مؤتمر القمة العربي، ومحاولات ضرب التسلح العربي، ووصم الكفاح المسلح العربي/ الفلسطيني بالارهاب مع تجاهل "ارهاب الدولة" الاسرائيلية... الخ. ولا حاجة بنا هنا ايضا للوقوف طويلا امام "التفسير" الامريكي الذي يقدم للعرب والفلسطينيين في الغرف المغلقة والقائل بان كل تلك المواقف الامريكية تتم "رغم ارادة" السلطة السياسية التنفيذية العليا للولايات المتحدة سواء بسبب سيطرة اللوبي الصهيوني واسرائيل على السلطة التشريعية الامريكية، و/أو بسبب انتهازية هذه الاخيرة التي تمارس دورا كابحا، بل "وقامعا"، لرغبات ادارة بوش/بيكر، وبالتالي فان التصريحات المتناقضة للادارة الامريكية والاضطرار لسحبها انما هو مظهر مادي ملموس على ذلك "الصراع"!

Digitized by Birzeit University Library

*****

وبغض النظر عن وقائع ما حدث ويحدث بين العرب والولايات المتحدة الامريكية، وبغض النظر عن حقيقة الاسباب المسؤولة عن حدوث تلك التطورات، فان النتائج السياسية لكل ذلك في الشارع العربي، ومن ضمنه الفلسطيني، تتمحور حول خلاصة واحدة ملموسة هي/ مواقف معادية تقفها الولايات المتحدة ضد المصالح القومية العربية ولمصلحة اسرائيل، مع خنق واقصي فعلي لقوى الاعتدال العربي والفلسطيني ودعم واقعي فعلي لقوى التطرف والتوسع والعدوان في "اسرائيل". وفي هذا السياق، تجدر الاشارة الى حقيقة انه في الواقع السياسي المعاش لا تكون الحقيقة الناصعة دائما هي الاقوى، ولا تكون لها الغلبة بالضرورة. وكم هي المرات التي تغلبت فيها "الصورة السياسية" (Political Perception) على غيرها وامست بمثابة "حقيقة سياسية" تصبح ايضا مادية وملموسة بالمعنى السياسي ان هي تدعمت بالوقائع (بغض النظر عن النوايا) وتبنتها الجماهير. وعليه، فان حقيقة نوايا الثنائي بوش / بيكر على اهميتها، ليست باهمية الصورة السلبية الناجزة المأخوذة عنها والتي صنعتها احداث العشرين شهرا الماضية والمدعومة بوقائع ملموسة تراها الجماهير يوميا وتبني، على أساسها، مواقفها. ومن هذا المنطلق، جاءت "ردة الفعل" العربية/ الفلسطينية على المواقف الامريكية الاخيرة. بل هي - في تقديري - اكثر من "ردة فعل" اذا انتقلت الى مستوى "الحالة النوعية" المختلفة عن سابقاتها والتي تتلخص بعبارة "ايديولوجية معاداة الولايات المتحدة" وغني عن الذكر انه يفترض، والحال كذلك، ان يكون لهذا التطور ولهذه "الحالة" نتائج هامة وربما خطيرة لا بد من ان تأتي في ثنايا القادم من الزمن!

وجهة نظر

حول ازمة الخليج

محمود اسماعيل

غزة

كنت انتظر من خطابي هذا مجرد خاطرة تعبر عن مكنون غضبي ورفضي كأي عربي للغطرسة الامريكية والوجود الاجنبي فوق الارض العربية، ورفض انتهاك امريكا للكرامة العربية المعلن منذ عقود ومازال، ما هي الا خاطرة، وفي مجرى الكتابة تشكلت صورة، وجهة نظر عما يجري وكيف يمكن توجيه صفعة للولايات المتحدة بدون حرب. تلك المسألة التي طرحت بدورها مسألة البحث عن اداة التغيير المطلوب للنظام السياسي الرجعي العربي، وعن الاداة، سهم الحربة في مواجهة امريكا المعتدية.

في الواقع نحن في وضع ازموي وخطير للغاية، فالوجود الاجنبي فوق الارض العربية قد يصل قريبا الى نصف مليون عسكري، ولسان حال الجماهير العربية يقول: هل حقا امريكا حريصة على المصالح والحقوق العربية وتحرير الكويت كما تزعم، وهي التي تجوب بوارجها الحربية البحار والمحيطات "تبصق" قنابلها وحقدها على شعب ليبيا العربية وشعب لبنان العربي، فضلا عن تشجيعها ودعمها للاحتلال الاسرائيلي للارض الفلسطينية واستعباد شعب هذه البلاد العربي، وعدائها السافر والوقح للحقوق العربية في الهيئات الدولية. امريكا التي تنشر قواعدها العسكرية على طول اليابسة وعرضها، تحاصر كوبا وتحتل فيتنام وتغزو غرينادا، وتتدخل في تشيلي وبنما والسلفادور وليبيريا، امريكا التي تدعم وتساند اكثر النظم ديكتاتورية ورجعية وعدوانية في العالم، انها قرصنة حقيقية مستهترة بطموحات الشعوب، قرصنة غبية لا تتعظ من تجاربها المريرة في فيتنام ولبنان وفي اماكن كثيرة من هذا العالم، حين قالت الشعوب كلمتها فكان ما شاءت وخرجت امريكا من هناك تجر ذيول الخيبة والعار.؟!

اذن ما الذي تريده امريكا في الخليج؟؟

من المعروف ان البلدان الرأسمالية المتطورة تمر بفترات القلق الدائم من عدم توفر الموارد المعدنية للاقتصاد، لذا توجد في هذه البلدان معاهد خاصة تضع نبوءات طويلة الامد لتأمين البلد المعني بالخامات، وثمة رأي في الغرب يقول ان جميع البلدان الاساسية المتطورة صناعيا قد اجتازت

Digitized by Birzeit University Library

مرحلة كبيرة في مسألة العناية الجدية بالاحتياطات من الخامات المعدنية ومن النفط على وجه الخصوص.

ان ازمة النفط في العام ١٩٧٣، طرحت مشكلتين للغرب الرأسمالي واليابان، وهي الاسعار واستقرار التوريدات وكما يؤكد مجموعة من الاقتصاديين، فان الارتفاع الدائم لنفقات استيراد الخامات يسهم في عجز ميزان المدفوعات وفي نمو التضخم المالي، الذي يشكل مسألة خطيرة بالنسبة للدول الرأسمالية المستوردة للخامات، ومع ذلك ينبغي التأكيد ان الغرب يبالغ في تضخيم الخطر على الاقتصاد الذي يحدث نتيجة تقلبات اسعار النفط وعدم استقرار التوريدات كما ذكرنا، والمقصود نفط الشرق الاوسط، اي ان الولايات المتحدة واوروبا لا تعاني من تبعية شديدة لنفط الشرق الاوسط، وانها تستطيع التعويض عنه بنفط المكسيك ونيجيريا وفنزويلا او نفط بحر الشمال. والولايات المتحدة تملك احتياطات هائلة من النفط المستورد اضافة للمخزون المحلي من حقول النفط البكر الذي لم تمسه ليبقى مخزونا طبيعيا لها. الذي تريده امريكا هو ضمان تواجدها العسكري في منطقة الخليج وتعزيز مواقع اسرائيل حليفتها الرئيسية ولكي تبرر الولايات المتحدة تواجدها في المنطقة تتستر بشعارات حول ضرورة حماية "المصالح الحيوية" لاقتصادها، اي تأمين التوريدات غير المنقطعة من النفط هذا ما تقوله امريكا لحلفائها الغربيين. اما نحن العرب فتخدعنا بالذريعة الواهية وياللدهشة، ذريعة تحرير الكويت السليب من المغتصب العراقي ... كذا!!

الولايات المتحدة تضفي صبغة نفطية على مطامع البيت الابيض المتفطرسة في السيطرة على الخليج العربي، وهي تسعى نحو الاشراف المباشر على هذه المنطقة لضمان نفوذها وتبعية دول الخليج لها والنفط العربي يبدو سببا هاما من الاسباب التي تدفع الولايات المتحدة للسيطرة على هذه المنطقة لكنه ليس السبب الوحيد، فهي ترى بعين ثعلب ان الدول العربية المنتجة للنفط، استنادا على تجربة المكسيك وفنزويلا ونيجيريا، هذه الدول التي تعاني من مصاعب اقتصادية خطيرة بسبب التوجه النفطي الوحيد، بدأت باتخاذ خطوات معينة بشأن تنويع مصادر اقتصادها هذا التوجه الذي يؤدي بشكل تدريجي الى فك قيود تبعية البلدان العربية لاستيراد المنتجات المصنوعة في الغرب، وستستطيع الدول العربية النفطية حل مشاكلها الاقتصادية بطرق اخرى غير الاستيراد المباشر للسلع والخدمات والتكنولوجيا، وفي مستقبل غير بعيد، قد يبدو من الانسب لهذه البلدان اتخاذ دور اكثر استقلالية عن الولايات المتحدة منذ الان اي الاحتفاظ باشرافها على سير الاحداث في هذه المنطقة وفرض "نماذج تطور" على البلدان العربية تروق للغرب وهذا الذي لم يحدث في حالة العراق الذي سار في اتجاه تصنيع البلاد والعناية بالتكنولوجيا وتعزيز قدراته العسكرية الدفاعية.

اذن امريكا تستهدف تحرير الكويت ولعبتها واضحة وجماهيرنا العربية بحسها الاصيل ترفع صوتها بجرأة وبصوت عال اخرجوا من ارضنا واتركونا وشأننا فعصر الهيمنة والتبعية والاملاء قد ولى ولن يعود. منبوذة هي امريكا في بلادنا العربية. اذن لماذا تصر على حشد حشودها وجيوشها والتابعين لها؟! انها المصالح الامريكية الضيقة التي لا تراعي مصالح الشعوب

عن «الاهالي»

الاخرى استنادا للتفكير السياسي الجديد، الذي يتجذر كفلسفة للسياسة الدولية، فالامن كل لا يتجزأ بمعنى أنه لا تستطيع دولة ضمان امنها ورفاهيتها على حساب امن ورفاهية الدول الاخرى لكن امريكا لا تغير جلدها ولن تتغير الا بالكي هل هي دعوة للحرب؟!.

شبح الحرب يلوح في الافق بكل بشاعته وسوداويته، فأمريكا مصرة على ضرب العراق، والمقصود ضرب الامن القومي العربي، والتنمية والتطور الواعد، فالعراق استطاع تحقيق انجازات هامة على الصعيد الاقتصادي وفي المجال الصناعي

Digitized by Birzeit University Library

ظروفا مواتية للاعتماد على الذات العربية وتسخير الثروات العربية الهائلة المؤثرة وبلا ادنى شك على الاقتصاد والقرار السياسي الدوليين.

ان صراع الصحراء قد لا يبقي على الربيع العربي المحتمل فالحرب تعني: عدة مئات الالاف من القتلى والجرحى والمشوهين، الجوع والتشريد، اقتصاد مدمر، ووقف كل مشاريع التنمية ورفاهية الشعوب العربية، ثم ان الحرب تعني ميراثا ثقيلا من الكآبة والارق والكراهية وتشويهها للنفس البشرية مازمة ومهزومة، تستمر لاكثر من جيل.

قطعا هي ليست دعوة للحرب

ان لم تنهض الشعوب العربية فالخاسر الاكبر في الحرب القادمة هو نحن العرب ولكن كيف يتحول الرفض لامريكا من القول الى الفعل ... كيف يستحيل الهتاف العربي الى قبضة، الى قوة دفع، الى طاقة تغير السائد ... قبضة تفوض ارادتها؟ كيف توجه الجماهير العربية سهامها الى انظمتها المتآمرة المتأمركة.

كم هي صعبة هذه الكيف اللعينة ... رحلة البحث المضنية عن البديل الثوري القادر على تغيير اليومي والعادي الى شيء جديد، البديل الكفيل باطلاق عاصفته السجينة المنتظرة من قمقمها.

لقد اختلف الكثيرون حول طبيعة ازمة حركة التحرر الوطني العربية وهل هي ازمة قيادة ام ازمة طبقة؟ واجدني في الظرف الراهن مدفوعا بدافع الباحث عن نقاوة الماء فلم يجد غير السراب، الى طرح السؤال المر: هل حركة التحرر الوطني العربية قائمة بالفعل، واين نستطيع تلمس فعلها الفاعل، ومن أجل "ماذا" "هي قائمة وما الذي تهدف الى تحريره؟ وهل حققت شيئا ما على طريق الوصول للهدف؟!.

عندما تبلورت حركة التحرر الوطني العربية وضعت نصب عينيها استكمال انجاز الاستقلال الوطني للشعوب العربية وخوض غمار معركة التقدم الاجتماعي وتحذير الاستقلال السياسي والاقتصادي وتحرير فلسطين السليبة ... فأين نحن الان؟!.

ينبغي دراسة هذه الموضوعة بنظرة مدققة، فاحصة، بناء على المعطيات والمتغيرات الجارية في العالم وتحديد طبيعة القوى التي تشكل بمجموعها حركة التحرر الوطني العربية.

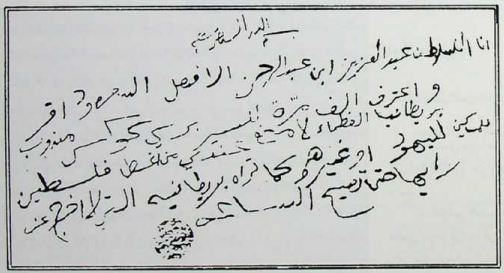

وثيقة بخط الملك عبد العزيز يضمن فيها عدم ممانعته باعطاء فلسطين لليهود او لاي طرف آخر.
المصدر: تاريخ آل سعود

من كتاب محمد علي سعيد "بريطانيا وابن سعود" الطبعة الاولى ١٩٨٢
اغتيل مؤلف الكتاب "وهو من الحجاز" في بيروت بعد شهر من صدور الكتاب.

Digitized by Birzeit University Library

صعوبات ومعوقات

لجنة الاغاثة الزراعية

بعد اعلان وثيقة الاستقلال، بات من الضروري العمل الجاد من اجل بناء اجهزة الدولة الفلسطينية العتيدة، وخاصة الاقتصادية منها، مما بات يستدعي ايضا النظرة الجادة لما يدور في الاراضي المحتلة، وتقديم كافة اشكال الدعم للمؤسسات الفلسطينية التي تعمل على تعزيز اسس هذه الدولة.

ونحن اذ ننشر هذه الورقة القصيرة عن المعيقات التي ادت الى عدم تطور القطاع الزراعي في المناطق المحتلة، كما وصلتنا من الاغاثة الزراعية، نأمل من كافة الاختصاصيين والمهتمين في تطوير هذا الفرع من الاقتصاد الوطني الفلسطيني ان يزودونا ويكتبوا الينا، لنشرها في المجلة، وخاصة من قبل مؤسسات التنمية العديدة، وهذا اقل ما يمكن ان نقدمه في بناء اقتصادنا الوطني.

المحرر

لقد كانت تجربة العمل التطوعي التي بدأت بشكل متسع في العام ١٩٧٦ ارهاصا حقيقيا لنشوء الاطر المتخصصة القائمة حاليا، (زراعية، طبية، نسوية) والتي اتسمت في بداياتها بعدم القدرة على تحديد مفهومها وغياب وضوح الرؤية لدورها، غير ان التسارع في تطور التجربة وما افضت به من مؤسسات متخصصة دفع التـ[illegible]

مجالات جديدة واكثر رحابة ساهمت في اغناء الخبرة في العمل وفي مفاهيم التنمية.

ونجحت هذه الاطر في تحديد الاولويات والتوجه الى الريف نحو الفلاحين الفلسطينيين الذين هم بأمس الحاجة الى تطوير مشروعاتهم غير انها لم تنجح في عملية التحول الى هيئة مخططة وقائدة للعمل بسبب الفئوية وغياب التنسيق.

ومن الجلي تماما ان هذه الاطر لم تستطع بناء حركة شعبية تعاونية متكاملة وان لاحت في الافق مكانات السير في الاتجاه الصحيح، بعد ان نجحت في وقت مضى في العمل التطوعي المجاني وبناء نماذج تعاونية تمنح الامل في تغيير المفهوم التعاوني الذي افسد في المناطق المحتلة.

ويعود قصور القطاع الزراعي وعدم قدرته على التطور الى جملة من العوامل والاسباب التي حالت دون امكانية ارتقائه وازدهاره:

اولا محليا:

١- العوامل الموضوعية:

أ- ضيق مساحة الاراضي الصالحة للزراعة الناتجة عن طبيعة المناطق المحتلة و .....

ب- تقلص المساحات المستغلة من ٢ مليون دونم الى حوالي ١,٣ مليون دونم.

جـ- معظم المساحات الزراعية تعتمد على الزراعة البعلية التي تؤدي الى انخفاض معدل الانتاج اضافة الى صعوبة ادخال التكنولوجيا وبالتالي ارتفاع تكاليف الانتاج.

د- تناقص مصادر المياه والسيطرة عليها من قبل السلطات المحتلة.

هـ- عدم استصلاح مساحات جديدة واذا ما استصلحت يتم زراعتها بمحاصيل ذات طبيعة غير انتاجية.

Digitized by Birzeit University Library

٢- العوامل الذاتية:

أ- غياب التخطيط الزراعي السليم.

ب- غياب الجسم الزراعي الوطني القادر على معالجة المشكلات الزراعية.

جـ- عدم وجود اهتمام تنموي زراعي فلسطيني الا مؤخرا الذي كان قد سار على نفس طريق الاردن في التنمية الزراعية التي اثبتت فشلا ذريعا.

د- التركيز على العملية السياسية القومية اكثر من التركيز على العملية الاقتصادية الانتاجية.

هـ- الاعتماد على سياسة "الشحدة" وجني المكاسب الشخصية لدى الفلاح الفلسطيني دون دراسة او تقييم.

و- النظر الى العمل الزراعي بمنظار غير صائب من ناحية اجتماعية واقتصادية وظهور صفات استهلاكية سيئة عند الناس.

ز- ضعف الثقافة الانتاجية خاصة لدى الاجيال الشابة.

جـ- سيطرة مجموعة من الزراعيين "المافيا" الذين يقوم جل نشاطهم من اجل تحقيق المصلحة الفردية.

ثانيا خارجيا:

١- العوامل العربية:

أ- غياب سياسة عربية متكاملة لتثبيت الاهل في الاراضي وفتح مجال الهجرة الى الدول العربية مما دفع بالالاف الى ترك المناطق المحتلة وخاصة سكان الريف.

ب- عدم اعطاء اولوية للتصدير الى الدول العربية والقيام بالاستيراد من دول مجاورة مثل تركيا وفرنسا، بل قيام هذه الدول (الاردن على سبيل المثال) بانتاج بدائل لما تستورده من المناطق المحتلة.

جـ- قيام الدول العربية بتنفيذ سياسة تنموية فاشلة من خلال الاردن الذي لم يهتم بالتنمية الحقيقية للزراعة بل توجه الى سياسة تنمية دعائية - سياسية تهدف الى كسب المزيد من المساعدات.

د- غياب سياسة تنموية انتاجية بما يخص التحويلات المالية من المصادر العربية بما فيها الفلسطينية واتجاهها نحو العمران الفخم بدل توجيهها نحو الانتاج.

٢- العوامل (المؤسسات) الاجنبية

أ- انصباب معظم المساعدات للمؤسسات الاجنبية التنموية التي تنقسم الى نوعين الاول: دينية تبشيرية والثانية سياسية - امبريالية، حيث يحظى النوع الثاني بمساعدات متميزة.

ب- الاعتماد على التوجيه الخارجية للتنمية الذي يهدف الى تحقيق غايات تلك المؤسسات.

جـ- فشل معظم مشاريع هذه المؤسسات وبالتالي التأثير على معنويات العاملين في مجال التنمية الزراعية.

د- افساد العمل التعاوني من خلال العمل بواسطة الجمعيات التعاونية المعتمدة على الاشراف الاسرائيلي حاليا والاردني سابقا.

هـ- ايجاد طبقة مستفيدة من عمل هذه المؤسسات (المافيا الزراعية) واظهارهم كخبراء وممثلين للزراعة في المناطق المحتلة.

ثالثا اسرائيليا:

لقد افردنا الاثر الاسرائيلي في اعاقة تطور الزراعة الفلسطينية لما له من تأثير كبير على القطاع الزراعي في الاراضي

Digitized by Birzeit University Library

المحتلة حيث ان العوائق التي تسببها اسرائيل كبيرة وجوهرية في منع تطور هذا القطاع:

أ- اغراق سوق الارض المحتلة بالمنتوجات الاسرائيلية التنافسية التي تدعمها الحكومة مقابل المنتوجات المحلية المعتمدة على العمل اليدوي والتي تدفع الضرائب وغير المؤمنة من حدوث الكوارث الطبيعية او انخفاض الاسعار.

ب- اغلاق الاسواق الاسرائيلية امام الانتاج الزراعي العربي الا فيما ندر وبواسطة التهريب او تصاريح لكميات قليلة.

جـ- فصل اسواق الضفة الغربية وقطاع غزة عن القدس التي يعيش فيها كثر من ١٠٠ الف مواطن يشكلون حوالي ٢٠٪ من سكان الاراضي المحتلة.

د- امتصاص سوق العمل الاسرائيلي لقوة العمل وخاصة في الريف مما ادى الى اهمال الزراعة واقتصار الاهتمام بالزراعة المحلية على كبار السن وقد سبب هذا الامر الى افتقار معظم الشباب الى الخبرة الزراعية.

هـ- ارتفاع تكاليف الانتاج وانخفاض مستوى الدونم الواحد وارتفاع اجرة العمال ما دفع الجميع الى التفكير بالجدول الاقتصادي من العمل في الزراعة.

و- التركيز على زراعة المحاصيل المكملة للاقتصاد الاسرائيلي مثل زراعة التوت الارض في غزة وبذور البصل وهجر زراعة الكثير من المحاصيل التي تستهلك في المناطق المحتلة مثل زراعة السمسم والتفاح والثوم ...

وفي هذا الاطار والسرد السريع الى معظم الاسباب التي تحول دون تطور الزراعة المحلية نرى اننا بحاجة الى مراجعة دقيقة وشاملة من قبل الاطر ذوات الاختصاص والاتفاق على مفهوم التنمية اللازم للمناطق المحتلة وبالتالي الى التنسيق والعمل المشترك والابتعاد عن الفئوية والعمل الفردي وبناء سياسة تخطيطية تكاملية من اجل تحقيق تنمية زراعية، كما انه يتوجب على هذه الاطر ان تفرض على المؤسسات الخارجية الداعمة الى تبني استراتيجيتها في العمل. ويتطلب الارتقاء في القطاع الزراعي تطوير الاطر الجماهيرية العاملة في هذا المجال التي تعتبر الان اكبر مؤثر في العملية التنموية خصوصا في زمن الانتفاضة وتفعيلها.

باركوخبا الذي استقال احتجاجا:

فشل اسرائيل في مواجهة الانتفاضة اخطر بكثير من فشلها في حرب ١٩٧٣

اعلن اللواء موشيه باركوخبا الذي يعمل في قسم الابحاث "استخلاص العبر" في الجيش الاسرائيلي عن نيته الاستقالة والتنازل عن كافة الامتيازات الممنوحة له بما فيها السيارة احتجاجا على سياسة رئيس الاركان الاسرائيلي ومن اجل تحرير نفسه من القيود التي فرضوها على تصريحاته ومحاربة عن حقه في التعبير واضاف ان الفشل الذي منيت به اسرائيل في مواجهة الانتفاضة اخطر بكثير من الفشل الذي منيت به في حرب تشرين اول ١٩٧٣.

وكان باركوخبا قد منع من نشر دراسة عن العيوب التي ظهرت خلال معالجة اسرائيل لموضوع الانتفاضة.

وسيخرج باركوخبا في اجازة تعليمية لمدة سنتين في الخارج.

واضاف باركوخبا ان الجيش الاسرائيلي غير مهيأ لخوض حرب حقيقية

Digitized by Birzeit University Library

الصراع العربي الاجنبي على مياه الانهار

(دراسة في الجغرافيا السياسية للمياه)

د. احسان مصطفى

المشاريع الاسرائيلية:

اهتمت المؤسسات الصهيونية بالمياه، من اجل تحقيق الاستيطان الزراعي، وقد هدفت كل المشاريع الاسرائيلية، الى نقل المياه الى الجنوب - الى منطقة النقب - لاستصلاح الاراضي وريها واعدادها لاستقبال المهاجرين اليها، وكان توفير المياه لهؤلاء المهاجرين هو المهمة الملحة لذلك فقد وفرها التقدم العلمي في المجالات الهيدرولوجية والعلمية.

ونتيجة لزيادة استهلاك المياه في اسرائيل، وزيادة اعداد السكان وزيادة المهاجرين، فان اسرائيل قد عمدت الى اقامة عدد من المشاريع، حول اليهود من خلالها قسما من مياه نهر الاردن الاعلى شمال بحيرة طبريا، بواسطة الضخ في انابيب ضخمة، قطر كل منها ٢,٧ مترا. وتتجه جنوبا الى منطقة النقب لري مساحة منها، بقصد الزراعة وامداد مراكز العمران الجديدة بالمياه، وقد نفذ مشروع التحويل بكامله في ربيع عام ١٩٦٤.

ومن هذه المشاريع ايضا:-

١- مشروع اليركون - النقب:-

شرع بتنفيذ هذا المشروع عام ١٩٥٢ من اجل تزويد المياه لمنطقة شمال النقب، التي بنيت فيها الكثير من المستوطنات، انتهى العمل بهذا المشروع عام ١٩٥٥ واستهدف احضار مياه نهر العوجا (اليركون) التي ترد مياهه من ينابيع المياه الجوفية الاتية من المنحدرات الشمالية والغربية للضفة الغربية، والتي تتوحد في مجرى واحد بالقرب من "رأس العين" حيث تشكل نهر العوجا. وتقع محطة الضخ الرئيسية بالقرب من رأس العين حيث تدفع المياه بواسطة انبوب قطره ٦٦ انشا وطوله

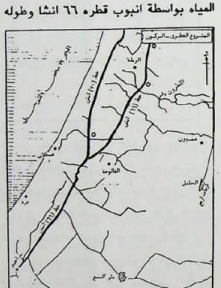

٩٥ كيلومترا نحو محطة "احسيماد" ومنها الى محطة "سمخا" وفي هذا القطاع يشترك مشروع اليركون مع عدد من المشاريع المحلية.

ينقل مشروع اليركون سنويا حوالي ١٢٠ مليون م٣ من الماء تروي ٢٠٠ الف دونم من الاراضي (١١) وامام التوسع الاستيطاني في منطقة غرب النقب (منطقة بصور) اضيف خط آخر، هو خط غربي النقب، الذي فرغ من انشائه عام ١٩٦١ وبهذا يبلغ الطول الكلي لمشروع اليركون ابتداء من رأس العين وحتى "مفتاحيم" حوالي ١٠٦ كيلومترا بقطر ٦٦ انشا.

٢- مشروع المياه القطري(١٢):-

بعد الهجرة الكبيرة الى اسرائيل بعد قيام الدولة ١٩٤٩ - ١٩٥٢، ازداد استهلاك المياه نتيجة التوسع في اقامة المستوطنات وعجزت المشاريع المحلية للمياه، في تلبية الاحتياجات المائية اللازمة للمشاريع الاستيطانية ومنها مشروع اليركون.

ولذلك قررت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٥٦ اقامة مشروع كامل يستهدف تحويل مياه نهر الاردن، وجلبها الى المناطق الجنوبية.

وفي عام ١٩٦٤ انتهى من تنفيذ المشروع، وتم نقل المياه خلال انبوب بقطر ١٠٦ انشات وبطول ١٣٠ كيلومترا حتى محطة رأس العين.

ويتم سحب المياه من بحيرة طبريا، على عمق ٢١٣ مترا تحت سطح البحر الى محطة الضخ الرئيسية على شاطىء البحيرة الغربي في موقع "الطابغة" التي تقوم بضخ المياه بقوة ٦,٧٥ م٣ في الثانية. وتضخ المياه من المحطة نحو ٣ انابيب تتحد معا على مسافة معينة في انبوب واحد يسمى "انبوب الضغط" بطول ٢٣٠٠ متر، وبه يتم رفع المياه خلال "تل العريمة" من عمق - ٢٢٠ مترا الى + ٤٤ مترا، اي بارتفاع قدره ٢٥٦ مترا، حيث تصب المياه من هذا الانبوب في قناة مفتوحة تسمى "قناة الاردن" التي يبلغ طولها ١٦كم بعرض ١٢ مترا عند السطح و ٢,٥ مترا عند القاع، يصل عمق القناه الى ٣١٥سم ومنسوب المياه يصل الى ٢٧٠سم.

Digitized by Birzeit University Library

وتجري المياه من هذه القناة الى خزان "سلمون" ثم الى قناة عيلبون في سهل البطوف التي يبلغ طولها ١٧كم بعرض ٢٠ مترا وبعمق ٢٦٠سم ثم الى نفق عيلبون الذي يبلغ طوله ٨٤٠ مترا.

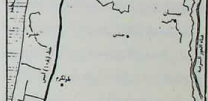

تصب قناة عيلبون المفتوحة في خزان البطوف (مجمع اشكول) التي تخزن فيه المياه لحالات الطوارىء ومن الخزان تندفع المياه عبر انبوب باطون ضخم بقطر ١٠٨ انشات وبطول ٧٧كم حتى نقطة اتصاله مع خط اليركون - النقب في منطقة رأس العين ويجري حاليا العمل (١٣) في مشروع لتحويل مياه نهر الاردن مباشرة الى شبكة المياه القطرية في اسرائيل مع تجاوز المرور في بحيرة طبريا، وان الحديث يدور عن تحويل ٨٠ مليون م٣ في السنة من اصل ٦٠٠ مليون م٣ من المياه تتدفق سنويا من نهر الاردن الى بحيرة طبريا.

ويدور الحديث عن تحويل المياه من خلال قناة مفتوحة ومن خلال انبوب ضخم يصل قطره الى ٧٠ انشا من منطقة حمامات الدان وبانياس، مع استغلال الفارق في الارتفاع بينهما وبين مجمع اشكول للمياه (خزان البطوف) التابع لشبكة المياه القطرية.

٣- اتصال المشروع القطري بمشروع اليركون:-

اقيمت بالقرب من محطة رأس العين، محطة خاصة هي "فيسوت" تربط بين خط المياه القطري، وخطي اليركون الشرقي والغربي، وبذلك تم ربط مختلف المشاريع المحلية، والتي لم تكن مرتبطة مع بعضها

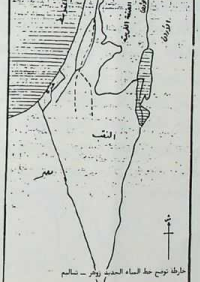

البعض ضمن المشروع القطري، واصبحت الغالبية العظمى من شبكات المياه مرتبطة معا، ضمن شبكة قطرية واحدة، الامر الذي ادى الى زيادة السيطرة على طرق توزيع المياه ومعادلة نسبة ملوحتها، كذلك يتم خلال موسم الشتاء ضخ المياه من انابيب المشروع القطري الى احواض الابار الارتوازية حيث يتم تخزينها، ثم تسحب ثانية في اشهر الصيف.

المياه ونظرة اسرائيل للمستقبل:

مع صدور قانون العودة في اسرائيل عام ١٩٥٠، ذلك القانون الذي

يهودي في العالم القدوم الى اسرائيل، ومع امواج المهاجرين التي وصلت الى اسرائيل منذ عام ١٨٨٠ وحتى ١٩٨٩ ومع انفجار الهجرة مع بداية عام ١٩٩٠ ووصول اكثر من ١٢٠ الف يهودي خلال عشرة شهور فقط من عام ١٩٩٠ وتوقع وصول ما يقرب من مليون يهودي حتى عام ١٩٩٥ وثلاثة ملايين حتى نهاية هذا العقد، وما رافق ذلك ويرافقه حاليا من مشاريع تهويد الجليل، واستيطان النقب، واستيطان المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ فان ذلك يتطلب توفير مصادر مائية كبيرة حتى تستطيع تلبية احتياجات هؤلاء المهاجرين البشرية والصناعية والزراعية وغيرها، وامام عدم كفاية المصادر المائية الطبيعية وزيادة كلفة تحلية المياه، وزيادة كلفة تكرير مياه المجاري واعادة استعمالها، وزرع الغيوم "المطر الصناعي" واستنزاف المياه الجوفية وتلويثها فان المسؤولين الاسرائيليين وتلويثها فان المسؤولين الاسرائيليين سيضطرون الى محاولة ايجاد مصادر طبيعية اخرى، من مناطق مجاورة كما حدث مثلا بالنسبة لنهر الاردن الذي تستهلك اسرائيل حاليا جميع كميات المياه العارة به، حيث حولت مياهه الى وسط وجنوب اسرائيل وعلى الخصوص منطقة النقب، اضافة الى مطالبتها، باستغلال (١٤) اكثر من ١٠٠ مليون م٣ من نهر اليرموك واكثر من حصتها منه كما جاء في مشروع جونستون لتوزيع مياه هذا النهر الذي حدد حصة اسرائيل بـ ٢٥ مليون م٣ من المياه فقط.

اما بالنسبة الى نهر الليطاني فان اسرائيل تخطط لسحب مياهه اليها وضخ ٤٠٠ مليون م٣ من مياه هذا النهر لتصب في خزانها الكبير - بحيرة طبريا - ولري المشاريع الزراعية الاسرائيلية شمال هذه البحيرة في المستوطنات الحدودية خصوصا بعد احتلالها لهضبة الجولان والجنوب اللبناني واحكام سيطرتها على منابع وروافد

Digitized by Birzeit University Library

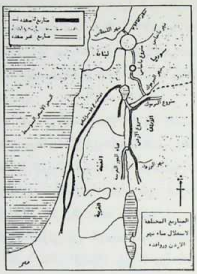

الحاصباني، الليطاني) وتشهد المناطق الفلسطينية المحتلة مع تصاعد الانتفاضة الوجه الاكثر ضراوة للصراع غير المتكافىء على المياه بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود على مياه الضفة الغربية التي تحتكرها اسرائيل لمصلحتها وتستهلك ما بين ٣٠ - ٤٠٪ من حاجتها من المياه منها، وذلك عبر القوانين العسكرية منها والمدنية وخاصة الامر العسكري رقم ١٥٨ (١٥) الذي يتحكم في استغلال المياه الجوفية في الضفة الغربية هذه القوانين التي تحد من استهلاك العرب للمياه، بينما تشجع، بل وتدعم استهلاك المستوطنين لهذه المياه وبمختلف الوسائل والطرق وفي سبيل توفير اكبر قدر من المياه للاعداد المتزايدة من المهاجرين اليهود فان حلم سحب مياه نهر النيل من منطقة الدلتا عبر قناة السويس الى النقب عبر سيناء، ما يزال يراود فكر الزعماء الاسرائيليين، وبعد اتفاقيات التسوية المصرية الاسرائيلية (اتفاقية كامب ديفيد) فان هذا الحلم اتخذ ابعادا واقعية.

فكرة سحب مياه النيل الى النقب:

تعود هذه الفكرة الى سنة ١٩٠٥ وصاحبة هذه الفكرة هي الحركة الصهيونية

- وقد طرح احد الباحثين الاسرائيليين وهو "يوسف دورئيل" مشروعا آخر لسحب مياه النيل الى صحراء سيناء، وفي عام ١٩٧٤ قام المهندس الاسرائيلي "ليبشع كلي" بنشر دراسة تضمنت مخططا تفصيليا لمشروع سحب مياه نهر النيل الى النقب من ترعة الاسماعيلية عبر قناة السويس ومن هناك تنقل المياه بواسطة انابيب حتى خان يونس ومنها الى شعبتين من الانابيب الاولى الى قطاع غزة والاخرى الى النقب الغربي في اتجاه بئر السبع (١٦).

كذلك نشر الاقتصادي الاسرائيلي (١٧) "ليفي موراف" ومحافظ بنك اسرائيل (١٨) "موشيه زنبر" ابحاثا يدعوان فيها الى وجوب مشاركة اسرائيل في تطوير الاقتصاد المصري من خلال اتفاقيات لتشجيع التبادل التجاري بينهما وتتضمن ضرورة امداد اسرائيل بالمياه من نهر النيل وبالبترول المصري وذلك لقلب صحراء النقب الى منطقة خضراء.

وقد درست هذه الافكار بجدية بعد التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد التي كان احد بنودها السرية مسألة ايصال المياه الى النقب.

وفي حين نشرت مجلة "جون افريك" في تموز ١٩٨٠، ان مسألة تحويل مياه النيل قد درست بين بيغن والسادات في مدينة اسوان حيث اقترح السادات على بيغن اقامة تعاون بين البلدين لاستغلال مياه النيل، فان المستوى الشعبي والرسمي في مصر قد رفض هذه الفكرة على لسان رئيس الوزراء المصري الذي اكد للشعب المصري بان "ترعة السلام" لن تروى سوى الاراضي المصرية في سيناء وعبر قناة السويس.

وذلك لحاجة مصر الى كل قطرة ماء من نهر النيل لمواجهة الزيادة السكانية الهائلة، واستغلال مياه النهر في عمليات ري المساحات الجديدة من الاراضي المستصلحة، سواء في الصحراء الشرقية او الغربية على جانبي نهر النيل ووادية.

ومجمل الامر فقد ذكرت الصحف الاسرائيلية انه تمت مناقشة مشروع تحويل مياه النيل عبر سيناء من اجل ري صحراء النقب من قبل باحثين اسرائيليين ومصريين في اجتماع عقد بينهما في جامعة حيفا (٢٠).

وفي سنة ١٩٨١ القى السادات خطابا (٢١)، اعترف فيه بأنه عرض على مناحيم بيغن منح اسرائيل مليون م٣ يوميا من مياه النيل، وهذه الكمية تكفي لري ٣٦٥ الف دونم تعادل ٢٨٪ من مجموع الاراضي المروية في اسرائيل.

ومع اغتيال السادات فقد فترت الجهود الرامية لتحقيق مثل هذا المشرع وعلى الاخص بعد الانباء القائلة، بان كل من اثيوبيا واوغندة، تحاولان اقامة المزيد من السدود والخزانات المائية على روافد نهر النيل مما يهدد الامن المائي المصري في المستقبل وعلى ضوء الحاجة المتزايدة للمياه في مصر، اضافة الى ان مصر لا تملك حق التصرف بمياه النيل، دون راي دول حوض النيل.

مشروع قناة البحرين:

برزت فكرة ربط البحر الميت بأحد

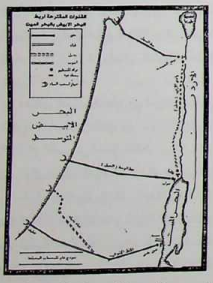

البحرين "البحر الاحمر او المتوسط" من اجل استغلال فارق الارتفاع، لتوليد الطاقة

Digitized by Birzeit University Library

الكهربائية من جراء سقوط المياه، من فارق الارتفاع منذ اواخر القرن التاسع عشر وعلى الاخص منذ عام ١٨٥٠ وتجددت الفكرة عام ١٨٩٩، عندما عرض مهندس سويسري مشروع شق قناتين الاولى من البحر المتوسط الى البحر الميت، والثانية من بحيرة طبريا الى البحر الميت، لاستغلال فارق الارتفاع وتوليد الطاقة وتزويد الدولة اليهودية بالمياه العذبة، مما شجع "ثيودور هيرتزل" على تبني هذا المشروع حيث قال بان لفلسطين حاجتان رئيسيتان هما المياه والطاقة.

وقد اقترح "لودر ميلك" عام ١٩٤٤ وهو امريكي كلف من الوكالة اليهودية بدراسة مشاريع الري في فلسطين، اقترح جر المياه من نهر الاردن العلوي واليرموك والزرقاء، لري الغور على جانبي وادي الاردن وكذلك سحب المياه الى اراضي النقب، ونظرا لان تنفيذ هذا المشروع سيقطع المياه عن البحر الميت، فقد اوصى بوصل البحر المتوسط بالبحر الميت بواسطة اقنية وانفاق للتعويض عن خسارة المياه اولا ولتوليد الطاقة الكهربائية ثانيا.

وفي عام ١٩٤٨ عزز مشروع "لاودرميلك" بمشروع "جيمس هايز" الذي يشتمل اضافة الى استغلال مياه نهر الاردن، على اقامة مشروع لربط البحرين المتوسط بالميت من اجل انتاج الطاقة والتي قدرها بنحو (٢٢) ٥٦٠ مليون كيلوواط ساعة سنويا.

ولكن التفكير الجدي في اسرائيل بشأن شق قناة البحرين كان في عام ١٩٧٣ بعد الارتفاع الكبير في اسعار النفط.

وفي اعقاب تسلم الليكود للحكم او كل رئاسة لجنة المشروع الى "يوفال نئمان" عام ١٩٧٧ وانتهت هذه اللجنة من اعمالها في دراسة المشروع من جميع جوانبه عام ١٩٨٠ وفي عام ١٩٨١ اقرت الحكومة الاسرائيلية بالاجماع مشروع القناة دون تحديد لمسارها بشكل رسمي. وذكرت ان موافقتها جاءت لاغراض توليد الكهرباء واغراض تطوير البلاد.

وبعد ذلك وفي نفس السنة قررت الحكومة ان تكون بداية المشروع من غزة الى منطقة تقع بالقرب من "مسعدة".

وبالفعل فقد بوشر سنة ١٩٨٣ في وضع الخرائط الطبوغرافية والجيولوجية لمنطقة القناة المنوي حفرها، والانفاق والخزانات ومحطة توليد الكهرباء الرئيسية، ومازال المشروع بين مؤيد له ومعارض، وربما كانت الاحوال الاقتصادية التي تمر بها اسرائيل هي التي اجلت البدء بتنفيذ المشروع بشكل عملي حتى الان.

المياه ونظرة الاردن للمستقبل:

على ضوء الزيادة السكانية في الاردن ورجوع مئات الالاف من الاردنيين والفلسطينيين من دول الخليج الى الاردن للسكن الدائم، وعلى ضوء ضرورة تحول الاردن الى استراتيجية الزراعة المروية، لحل مشكلة التذبذب في كمية الامطار الساقطة وتأخرها او تقدمها، ودورات الجفاف والهطول الضعيفة في السنوات الاخيرة وتأثيرها على الزراعة بشكل عام، فان الاردن مقبل على ازمة مائية كبيرة مع نهاية هذا العقد، ستهدد الامن المائي والغذائي فيه اذا لم يوفر مصادر مياه جديدة تلبي الحاجة المتزايدة لهذا البلد.

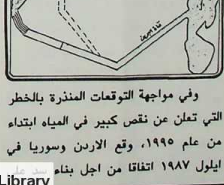

وفي مواجهة التوقعات المنذرة بالخطر التي تعلن عن نقص كبير في المياه ابتداء من عام ١٩٩٥، وقع الاردن وسوريا في ايلول ١٩٨٧ اتفاقا من اجل بناء نهر اليرموك، دعي رمزيا "سد الوحدة" بالقرب من قرية المقارن الاردنية والى الشرق من سد المخيبه (خالد) على نفس النهر، ويعتبر تنفيذ هذا السد حيويا بالنسبة للاردن.

وما ان بدء العمل في هذا المشروع حتى عطلت اسرائيل تنفيذ السد برفضها للحصة التي حددتها لها خطة جونستون قبل اربعين سنة، وقد ادى رفض اسرائيل وضغطها على الولايات المتحدة الى دفع البنك الدولي الى تجميد اموال المشروع واشترط لذلك الاتفاق، بين الدول الثلاث الاردن وسوريا واسرائيل على اقتسام المياه بينهما اولا وبعدها سيمول المشروع.

والاردن هو الدولة الوحيدة التي تعاني من جراء وقف تنفيذ المشروع لان سوريا قد نفذت ما مجموعه ٢٨ سدا على نهر اليرموك واحتجزت من المياه ما يكفيها، اما اسرائيل فان استغلالها الكثيف لمياه نهر الاردن شمال بحيرة طبريا وجنوبها كذلك سحب بعض مياه نهر الليطاني يجعلها تعوض كثيرا من حاجتها للمياه (٢٣) ويذكر في هذا الشأن ان اسرائيل لا تمانع في بناء السد (سد الوحدة) بشرط حصولهاعلى حصتها التي تريدها هي من مياه النهر التي تقدر بربع مياه النهر ومن الجدير بالذكر ان مشروع جونستون قد اعطى الاردن ٣٧٧ مليون م٣ وسوريا ٩٠ مليون م٣ واسرائيل ٢٥ مليون م٣ ويتهم الاردن جارتيه بالغش حيث تحصل سوريا حاليا على ١٧٠ مليون م٣ بينما تحصل اسرائيل على ١٠٠ مليون م٣.

وتمثل مياه اليرموك طريق الخلاص الوحيد بالنسبة للاردن لانها تعطى لهذا البلد امكانية مضاعفة مساحة اراضيه المزروعة من ٢٣ الف هكتار الى ٥٠ الف هكتار، كما تسمح له بتغذية قناة الغور الشرقية لنهر الاردن، المعدة لجر ٣٠ م٣/الثانية والتي لم تتجاوز المياه الجارية فيها حتى اليوم ٣م٥

Digitized by Birzeit University Library

الاردن.

ويصل عجز الاردن السنوي (٢٤) من المياه سنة ٢٠٠٠ الى ما بين ١٧٠ - ٢٠٠ مليون م٣ مع ارتفاع حاجته الى المياه من ٨٧٠ مليون م٣ الى مليار م٣.

كما ان انخفاض الطبقة الجوفية في وادي الاردن، وظهور الاملاح في بعض المياه، وتلويث مياه نهر الاردن، وزيادة ملوحته من قبل اسرائيل، وانخفاض منسوب جريان المياه في نهر اليرموك نتيجة السدود السورية، وخزن المياه فيها؛ قد زاد المشكلة على الاردن.

وقد ادت هذه الظروف الى اعتماد الاردن على نظام الحصص، في توزيع المياه في الغور وعلى جانب نهر الاردن الشرقي وهي اكثر المناطق الاردنية كثافة من الناحية الزراعية المعتمدة كليا على الري.

كما ادت هذه الظروف ايضا الى تقنين المياه في عمان ومناطق اخرى خاصة في فصل الصيف حيث تفتح المنابير في يومين من الاسبوع فقط.

وبما ان الاردن دولة صحراوية فان خياراته في المسألة المائية قد تكون معدومة، وفي سبيل ذلك يحاول الاردن تنفيذ مشروعات صغيرة لزيادة مخزونه المائي ولكن الزيادة السكانية والفجوة الكبيرة بين الاستهلاك ومصادر المياه المتجددة يقضيان على زيادة المخزون، وقد ادى زيادة الضخ، الى الحاق اضرار بمصادر المياه الحالية، حيث ظهرت علامات الملوحة في مياه واحة الازرق التي تمول عمان بالمياه، كما ادت حركة التصنيع الحالية الى تلوث مصادر مائية اخرى.

وفي هذا المضمار فان الاردن يحاول الحد من الزراعة المروية وزيادة مساحة الزراعة البعلية المعتمدة على مياه الامطار، كما يجري ترميم شبكات المياه وتخفيض نسبة الفاقد منها، ويجري اقامة بعض السدود على الاودية لتجميع مياه الامطار ورائها لاستغلالها في ري الزراعة كما يجري العمل على خطة شاملة لترشيد استهلاك المياه سواء للاستهلاك المنزلي او الزراعة او الصناعة، كما يجري الان دراسة مشاريع استثمارية جديدة في مجال المياه ومنها اعادة تكرير المياه (مياه المجاري) بعد معالجتها لاغراض الزراعة المطلقة والمقيدة (مشاريع الاعلاف الخضراء وري نباتات واشجار الشوارع، كما يجري العمل في مشروع بناء سدود الجنوب لتوفير المياه حسب الخطة المتوسطة حتى عام ٢٠٠٠، كما تعد الان دراسة لتحلية مياه البحر الاحمر واستخدامها في مدينة العقبة وكذلك استخراج المياه الباطنية (مياه التعدين) الى الجنوب من الديسه.

ان سحب المياه من خارج الاردن كان اهم الاقتراحات التي تناقش الان، وخصوصا من العراق، التي يستطيع ان يحصل الاردن منها على ١٤٠ مليون م٣ في السنة. واخيرا فان الاردن ينظر الى المياه وخاصة من نهر الاردن، ونهر اليرموك على انها مسألة حياة او موت، فان الصراع على هذه المياه في المستقبل سيكرر حالة السلام، او حالة الحرب بين دول المنطقة واذا لاحظنا ان حاجة اسرائيل الى المياه، وخاصة من نهر اليرموك بعد موجات الهجرة التي تشهدها الان من الاتحاد السوفياتي، واذا لاحظنا ان موقف اسرائيل بالنسبة لمياه اليرموك هو الضعيف لانها تقع على مصب النهر، فان ذلك ربما يشكل حافزا لها الى الاعتداء على جارتيها لاحتلال المزيد من الاراضي في اتجاه منابع النهر لتحكم السيطرة عليه.

واخيرا لقد كانت المياه وعبر مراحل تطور الحياة تحدد حياة السكان والصراعات بينهم.

المياه ونظرة سوريا للمستقبل:

نظرا لوقوع سوريا على البحر المتوسط ومواجهتها للساحل الشرقي له فان الجهات الغربية من سوريا تتمتع بوفرة كبيرة من مياه الامطار في فصل الشتاء، كما ان وجود انهار كبيرة فيها كنهر الفرات، الذي يخترق شمالها، واعتماد منطقة الجزيرة فيها على الري من هذا النهر بعد اقامة السدود والخزانات عليه، ونظرا لوجود نهر العاصي الذي يروي مساحات شاسعة من اراضي سهل الغاب بما يوجد عليه من سدود وخزانات مائية بين المرتفعات الغربية والشرقية فيها، وكذلك نهر بردى الذي يروي غوطة دمشق والمناطق المجاورة لها، كذلك وقوع ٨٠٪ من نهر اليرموك في اراضيها واستغلال مياه هذا النهر بشكل كبير، حيث اقامت ما مجموعه ٢٨ سدا عليه؛ فانها لا تعاني من مشكلة مياه، كما تعاني من ذلك جارتيها الاردن واسرائيل، وبالتالي فان قضية المياه لا تزرق بال المسؤولين فيها بنفس الدرجة كما في الاردن، وكان توقيعها على اتفاقية اقامة سد الوحدة بينها وبين الاردن من اجل الحصول على ٧٥٪ من الطاقة الكهربائية المولدة من هذا السد.

اما هضبة الجولان التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧، فان اسرائيل تحتكر مصادر المياه فيها وذلك لسيطرتها على الينابيع الكثيرة، وتحويل مياهها الى المستوطنات كما سيطرت على مياه بركة "رام" في "مسعده" التي تحتوي على حوالي ٢ -٣ مليون م٣ من المياه بين الصخور البركانية، وقد استولت اسرائيل على جزء من جبل الشيخ بما يحويه من ثروة مائية كبيرة، وبالتالي فان سوريا قد فقدت جزءا مهما من ثروتها المائية بعد احتلال اسرائيل للهضبة وضمها اليها.

ولكن المشكلة التي تعاني منها سوريا في الوقت الحاضر تتمثل في ظاهرتين.

الظاهرة الاولى: في مشكلة اقامة تركيا لـ ٢٢ سدا على نهر الفرات، اكبرها سد اتاتورك، مما يؤدي الى قطع مياه الفرات عن سوريا بمقدار الثلث سنويا وما يعنية ذلك من اضرار فادحة للزراعة السورية

Digitized by Birzeit University Library

وللاراضي السورية التي ستتصحر وستتكلم عن ذلك لاحقا.

والظاهرة الثانية: ان سوريا تشهد منذ عشرة سنوات ظاهرة جفاف تخللتها سنتان ذات امطار وفيرة، كما تشهد ايضا انخفاضا في منسوب مياه الانهار، مما يؤدي الى زيادة ملوحة المياه فيها، ولتلافي هذه المشكلة فقد اقامت سوريا العديد من السدود على انهارها، وخاصة نهر اليرموك لحجز مياهه واستخدامها في ري اراضيها التي تزداد مساحة المستصلح منها، لاعدادها للزراعة اعتمادا على الري، وقد تكون المشاريع السورية على نهر اليرموك، التي يؤثر على استفادة اسرائيل من نهري الاردن واليرموك اهدافا لحرب المياه الاسرائيلية في المستقبل.

المياه ونظرة لبنان للمستقبل:

يعتبر لبنان الدولة العربية الوحيدة التي لا تشكل الصحراء اي جزء منها، وتتمتع البلاد بكميات من الامطار الشتوية الجيدة على جميع اراضيها كما توجد بها الكثير من الينابيع والانهار، على الرغم من صغر مساحتها.

ولكن حاجة اسرائيل للمياه، وكذلك تطلعها لان يكون نهر الليطاني هو حدها الشمالي - كما صرح العديدي من زعمائها -؛ قد جعل اسرائيل تفكر حاليا في سرقة مياه هذا النهر، بعد ان سرقت مياه نهر الحاصباني وبانياس وحولتها لري اراضي النقب، عبر مشاريعها المختلفة وهي تسعى الان لتحويل مياه نهر الليطاني، احد اكبر الانهار اللبنانية واهمها، وهي تسعى لاستغلال ٤٠٠ مليون م٣ من مياهه في السنة، عن طريق نفق يتراوح طوله ٢ - ٣كم يصل الليطاني بالجزء الاعلى من نهر الاردن ومن ثم الى مشروع المياه القطري، وافضل مكان للحصول على مياهه هو موقع السد الحالي عند بحيرة القرعون، وهذا يعني السيطرة الكاملة لاسرائيل على النصف الجنوبي لوادي البقاع، مما سيفقد لبنان، جزءا كبيرا ومهما من الاراضي الخصبة الواقعة في وادي البقاع، واذا عرفنا بأن اسرائيل هي على مرمى حجر من النهر، من خلال الشريط الحدودي الذي تسيطر عليه بالتعاون مع جيش جنوب لبنان الموالي لها، وان اسرائيل ربما تستغل ضعف لبنان حاليا وتمزقه السياسي، مما يسهل عليها عملية التحويل لمياه هذا النهر الذي يعتبر لبنانيا من منبعه الى مصبه، ولا تشاركه فيه اية دولة من دول المنطقة، مما سيضيف صراعا لبنانيا اسرائيليا على المياه، اضافة الى الصراع الاردني - السوري/الاسرائيلي.

ملاحظة:

هذه الدراسة هي الحلقة الثانية من احد فصول البحث الذي يعده الكاتب والذي سيصدر قريبا وكنا قد نشرنا الحلقة الاولى في العدد الماضي من المجلة.

استنكار واسع لحادث الاعتداء على الدكتور فيصل عمرو

اثار الحادث العدواني الذي تعرض له الدكتور فيصل عمرو وشقيقته وابنتها الى استياء وغضب شعبي عارم. وتبدو في الصورة شقيقة الدكتور ابتسام عبد الله عمرو وطفلتها آية وعمرها ١٠ شهور. وكانت منظمة صهيونية سرية هي

Digitized by Birzeit University Library

حول السياسة الاقتصادية

د. ديتار فايس (أ)

ترجمة عادل الزاغة (ب)

توطئة المترجم

أثارت عملية اعادة البناء في الاتحاد السوفييتي والتغيرات الدراماتيكية في دول اوروبا الشرقية، ولا زالت تثير العديد من الاسئلة حول صلاحية تطبيق النظرية "الماركسية اللينينية" على ظروف دول العالم الثالث عموما، ودول عالمنا العربي بشكل خاص.

وبالرغم من التنوع والاختلاف في ردود الافعال الفكرية والعملية على هذه التغيرات بين صفوف التيارات السياسية العربية المختلفة، والتي تراوحت ما بين الشماتة والأرأيتيه من جهة، مرورا بالدعوة الى عدم الحاجة الى نظرية عموما، او الادعاء المتسرع بان الدول "الاشتراكية" سابقا كانت قد ابتليت بحفنة من الشيوعيين المزيفين الذين كرسوا "فوائض

Digitized by Birzeit University Library

القيمة" لمصالحهم الخاصة، او الادعاء بان الاشتراكية هي نظرية فاشلة من اساسها، وصولا الى الادعاء بان اعادة البناء تهدم البناء الاشتركي طوبة على طوبة وبانها تمثل انحرافا عن الاصول الصحيحة للنظرية الاشتراكية العلمية". الى غير ذلك من الاراء، التي لا نهدف الى دراستها في هذه الصفحات، فان اتجاها يتبلور بالدعوة الى اعادة التفكير في "الاستراتيجية العربية" ان وجدت، وبشكل خاص فيما يتعلق باهدافها ووسائل تحقيقها.

وتشكل الملفات التي قامت مجلة صوت الوطن الغراء الصادرة في قبرص بفتحها، حول هذه القضية، مادة علمية واساسية للنقاش اللاحق. وفي رأيي، كما هو في رأي العديد من الناس، فان استلهام ما هو تقدمي في التراث الفكري للعرب عموما، وللمسلمين خصوصا، يشكل احدى المرتكزات الاساسية للتكوين الفكري لمستقبل العرب. ويمكن ان تجتمع على حرية التفكير والتعبير وضمانها والدفاع عنها وتطويرها بصفتها حق اساسي من حقوق الانسان قوى اجتماعية متعددة ومتباينة الافكار والاهداف، ويمكن ان تعبأ لمعركة من هذا النوع فئات واسعة من السكان، ويمكن ان تلعب المعركة من "اجل حرية الاجتهاد"، التي حرمت على العرب والمسلمين منذ الامام الغزالي، دورا فكريا هاما في معركة العرب الاساسية والمتمثلة في محاولتهم لايجاد مكان محترم لهم بين شعوب العالم الاخرى.

وأملي هو ان تثير هذه المقالة اسئلة جديدة حول من نحن وماذا نريد وكيف نعمل، وأن تيسر لنا فتح بعض الابواب المغلقة الى طريق ايجاد الحلول المناسبة لازمة المجتمع والفكر في عالمنا العربي.

١- خلفية تاريخية واطار مفاهيمي لنظرية نظام ابن خلدون:

يعتبر ابن خلدون واحدا من الشخصيات العظيمة للعالم الاسلامي. وعاش من سنة ١٣٣٢ الى سنة ١٤٠٦ ميلادية. وكان عالما اجتماعيا، ودبلوماسيا، وقاضيا واداريا.

ولد ابن خلدون في تونس لقبيلة متنفذة ذات اصل عربي جنوبي وذات تأثير ونفوذ كبيرين في اسبانيا الاسلامية لعدة قرون، وبعد سقوط سيفيلا عام ١٢٤٨ ميلادية، شاهد ابن خلدون القلاقل السياسية في الشمال الغربي لافريقيا التي عاصرها.

استلم منصبه الاول في محكمة تونس وهو في سن العشرين اي عام ١٣٥٢ ميلادية. وقادته المحطات الاخرى في حياته الى مناصب سياسية وادارية عليا في خدمة سلطان المغرب (١٣٥٤ - ١٣٦٢م)، والتي انقطعت باتهام مفاجيء بالخيانة وحبس استمر ٢١ شهرا (١٣٥٧ - ١٣٥٨).

في عام ١٣٦٢ غادر الشمال الغربي لافريقيا وتم الترحيب به في بلاط الملك محمد الخامس، ملك غرناطة، الذي عينه مسؤولا عن بعثه سلام الى "بدرو المتوحش"، ملك كاستيلا، عام ١٣٦٤.

وبعد منافسات شخصية في هذا البلاط، عاد الى شمال افريقيا ليصبح رئيسا للوزراء عند حافسيد حاكم بوجيه عام ١٣٦٥. وبعد موت الحاكم في السنة التالية، مر ابن خلدون بالسنوات التسع الاكثر تقلقلا لحياته العملية العاصفة. واستمر في كونه مراقبا ومشاركا للمناورات السياسية للعائلات الحاكمة المتصارعة، من قبائل العرب والبربر، وبشكل مستمر تغيرت ولاءاته في صراع بين طموحاته السياسية الخاصة والسلطان الغاشم للاقوياء.

وبعد ذلك، وبحكم تعبه من السياسة ومخاطر الحياة العامة ورغبته في البحث عن الراحة اخيرا، انسحب الى قرية معزولة في مقاطعة اوران للعيش تحت حماية قبيلة عربية. وكتب بهدوء وراحة تاريخه عن العالم (كتاب العبر) بين سنوات ١٣٧٥ - ١٣٧٨. واكمل كتابة مقدمته الى (المقدمة) عام ١٣٧٧.

وفي سنة ١٣٧٨ انتقل الى بلاط سلطان تونس حيث تمكن من استخدام المكتبات واكمال عمله التاريخي الكبير. وبدأ في التدريس في تونس. ولكن بسبب تعرضه للصعوبات والمنافسات الشخصية مع العلماء ورجال البلاط ومع الحاكم نفسه، اضطر للابحار عام ١٣٨٢ الى الاسكندرية تحت حجه انه سيسافر للحج الى مكة. وفي الحقيقة، فانه لم يذهب الى مكة في هذه المرة، بل انتقل الى القاهرة وبسرعة اكتسب تشجيع وثقة الحاكم المملوكي "برقوق" الذي عهد اليه بمراكز اكاديمية حساسة ومؤثرة، وعهد اليه مرارا بمركز القاضي الاعلى لمدرسة القانون المعليكة.

في عام ١٤٠٠ رافق ابن برقوق وولي عهده فراج الى دمشق المحاصرة من قبل الحاكم المنغولي تامرلان. واصبح مفاوضا لمدة سبعة اسابيع، وضيفا محترما ومحادثا لتامرلان في القضايا السياسية والتاريخية.

في عام ١٤٠١ احتلت قطعان تامرلان دمشق واعملت فيها الذبح والنهب، ولكن ابن خلدون استطاع العودة سالما الى القاهرة حيث تعرض في الطريق الى النهب من قبل رجال القبائل. وتعين في مصر مرارا ومن جديد كقاضي اعلى لمدرسة القانون المعلكته وطرد منها مرارا. ومات في عام ١٤٠٦.

تشكل هذه الحياة الاستثنائية الخلفية لمحاولاته لتكثيف التجربة التاريخية الى نظام من القواعد العلمية التي تحدد صعود واضمحلال الانظمة الاجتماعية، ولتوضيح انماط التغير التاريخي (71,11,1) (١).

لقد هدف ابن خلدون الى علم جديد عن صعود وهبوط الحضارات (علم العمران). وتبعا لابن خلدون فان على هذا العلم ان يكون له موضوعه الخاص، وتحديدا المجتمع البشري، ومشاكله، وتحديدا التحولات الاجتماعية وتتابعها. (77,7,1).

وحسب المفاهيم العصرية، فان عمله

Digitized by Birzeit University Library

تحدث دوريا خلال مراحل طبيعية نسبيا. ولكنها من فترة لاخرى تدخل ضمن انقطاعات حادة تؤدي الى تغيرات نسبية للانظمة كما شاهد هو بنفسه: الموت الاسود (تونس ١٣٤٨ - ١٣٤٩)، وغزو المنغول، وصعود اوروبا سياسيا واقتصاديا.

ان حجر الاساس في مفاهيم نظرية ابن خلدون عن الانظمة الاجتماعية هو العصبية، والشعور بالجماعة، والتكامل الاجتماعي. وتبعا لابن خلدون، فان العصبية هي القوة الخافزة والحاسمة في ظهور الحضارة. ومن وجهة نظر عصرية فان هذا المفهوم يمكن ان يطبق بشكل مفيد على التطور الاقتصادي. ويمكن النظر الى العصبية بانها الالتزام التنموي للقيادة السياسية بالاقتران مع الحافز على الانجاز لدى السكان. وفي الحقيقة، فان هذه هي القوى الحاسمة للنجاح او الفشل للاستراتيجيات التنموية خلال العقود الثلاثة الماضية، وليست التصنيفات الاقتصادية التقليدية مثل رأس المال، والمصادر الطبيعية او العمل (غير الماهر) بقوى حاسمة.

بالنسبة لابن خلدون فان العصبية هي بمثابة مفهوم شامل: انها تنشأ لحظيا بين الاقرباء والقبائل. انها علاقة بين اشخاص الذين يمدون يد المساعدة الجماعية لبعضهم البعض والتي تتضمن الوحدة والملة الحميمة. ويمكن ان يمتد هذا المفهوم ليشمل الزبائن والحلفاء اعتمادا على المصلحة المتبادلة (I, 264, 270).

ويخلق التكافل الاجتماعي والشعور الجماعي والتضامن الاساسي للتعاون. ويمكن لقائد ما ان ينجح في تأسيس سلالة جديدة اذا كان مدعوما بشكل كاف بعصبية فعاله. والتعاون ضروري لبناء تنظيم اجتماعي كفوء يصبح مهما اكثر واكثر مع تطور الدولة. ويحدد الاختلاف في نوعية العصبية الفرق بين حجم ونوعية الحضارة.

وبعد ان تصل العصبية قمتها فانها تضعف كنتيجة لشبكة من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. انها عملية من التحلل والفساد التي يلعب فيها الترف دورا اساسيا مسيطرا. ويسمح انهيار الحضارة القديمة لصعود حضارة اخرى جديدة منافسه لها.

ان نظرات ابن خلدون في نظرات عصرية بشكل مدهش: فلقد اوضحت ثلاثة عقود من مجهودات التنمية الاقتصادية في (١٥٠) بلدا ان التكافل الاجتماعي المتعمد على اجماع اجتماعي - حضاري موثوق واشباع للحاجات الاساسية للسكان هي في الواقع العوامل الحاسمة للنجاح.

اما العوامل الاخرى فهي الالتزام التنموي للنخب الحاكمة، واطار من الظروف الاقتصادية الاجمالية، والاستخدام الحضاري والتأهيل للعنصر الانساني مقترنا مع التقاليد التربوية، والمناهج الموجهة للممارسة العملية والقيم الموجهة نحو الانجاز.

٢- ملاحظات ابن خلدون عن عملية التطور الاقتصادي:

تشمل ملاحظات ابن خلدون واعتباراته فيما من النظرات الصائبة والتي لا تزال تحتفظ بصلاحيتها للسياسات التنموية المعاصرة.

٢٠١- الشعور الجماعي، التكافل الاجتماعي، تقسيم العمل والتخصص:

ان العصبية، الشعور الجماعي والتكافل الاجتماعي هي نقطة ابن خلدون الاساسية، لانها تسمح بتنظيم اجتماعي ضروري لتقسيم العمل. وبعد ٤٠٠ سنة، اي في عام ١٧٧٦، ينشر آدم سميث كتابه "بحث في طبيعة واسباب ثروة الامم". ويبدأ آدم سميث فصله الاول بتوضيح كيف ان تقسيم العمل يمكن العمال من التخصص وزيادة الانتاجية والتي هي مصدر زيادة ثروة الامة.

لقد جادل ابن خلدون تقريبا تماما مثل آدم سميث (II, 272 -271): "ان الانسان الفرد لا يستطيع لوحده ان يحصل ضرورات الحياة. وعلى كل البشر ان يتعاونوا لهذا الغرض في حضارتهم. ولكن ما يمكن ان يحصل عليه بواسطة التعاون بين مجموعة من الناس يشبع حاجات عدد من الناس اكبر بمرات عديدة من عددهم انفسهم. فمثلا، لا يستطيع احد بمفرده ان يحصل على حصته من القمح التي يحتاجها للطعام. ولكن عندما يقوم ستة او عشرة اشخاص، وبضمنهم حداد ونجار لعمل الادوات، وآخرون مسؤولون عن الثيران، وعن حراثة الارض، وجني المحصول من القمح الناضج، وبقية النشاطات الزراعية، بالعمل للحصول على الطعام ويعملون لهذا الغرض سواء بشكل منفصل او جماعي، فان بذلك يحصلون من خلال عملهم على كمية معينة من الطعام تكفي كطعام لعدد اكبر من الناس بمرات عديدة. ان مجموع العمل ينتج اكثر من حاجات وضروريات العمال".

وبذلك، فان هناك فرصة لشبكة مترابطة بشكل متزايد من وصلات المدخل - المنتج والتي تتطلب التعاون، وبالتالي العصبية.

ان التعاون يصبح مهما بشكل متزايد في عملية التنمية، ولدرجات اعلى من التنظيم والاسواق المتزايدة. ومع زيادة الثروة فان هناك طلبا متزايدا على منتجات اكثر تعقيدا في اسواق تختلف عن بعضها البعض والتي تقدم بدورها فرصا جديدة لتخصص انتاجي اعمق.

ان التنمية تتكون من التحفيز المتبادل للعرض والطلب (II, 277, 351) المرتبط مع تشجيع العلم والتكنولوجيا (II, ٤٣٤ - ٤٣٥).

٢٠٢- الاسعار كنتاج للعرض والطلب:

ان ابن خلدون يعي تماما بان الاسعار والقيم تتحدد بواسطة العرض والطلب (278 II, 276 -). وكما يعرف كل تلميذ، فلقد شغلت هذه المشكلة الاقتصاديين الغربيين

Digitized by Birzeit University Library

لمدة سنة او اكثر بعد آدم سميث.

يركز ابن خلدون على الصلة بين العرض والطلب: ان الطلب يقدم الفرص للربح، ويحفز العرض، بينما تتحول القوة الشرائية النامية الى طلب، وهكذا تتحفز عملية تنموية متراكمة (II ،272 ،273).

وبكلمات ابن خلدون الخاصة: "عندما تزداد الحضارة (السكان)، فان العمل المتوفر يزداد ايضا. وبالتالي، يزداد الترف ايضا مع الربح المتزايد، وتزداد تقاليد وحاجات الترف، وتخلق الحرف للحصول على منتجات الترف. وتزداد القيمة المتجسدة منها، وكنتيجة لذلك، تتضاعف الارباح ثانية في المدينة. ويتحسن الانتاج اكثر من ذي قبل.

وهكذا تتكرر العملية مع الزيادة الثانية والثالثة. وكل العمل الاضافي يخدم الترف والثروة، بعكس العمل الاصلي الذي يخدم ضرورة الحياة" (II ،272 - 273).

٤٠٢- العمل، العلم والتكنولوجيا كمصادر للقيمة المضافة:

ان ابن خلدون كان ايضا سباقا بالنسبة لكل من الاقتصاديين الكلاسيكيين مثل آدم سميث او دافيد ريكاردو وكارل ماركس طالما تعلق الامر بالتأكيد على دور العمل كمصدر للقيمة المضافة. فقد كتب يقول: "ان الربح هو القيمة المتجسدة من العمل الانساني". (II، ٣١١).

ولكنه ايضا لم يخطىء مثل ماركس*، فلم يعتبر بان القيمة تشتمل فقط الزمن المستخدم في جزء من العمل، وبالتالي فانه لم يتجاهل دور الطلب (II ،314 - 328).

ويعي ابن خلدون ايضا دور التعليم والمستوى العام للعلم والتكنولوجيا في الزيادة الممكنة لانتاجية العمل: فعندما توجد طاقة فنية معينة من المعرفة، فانها تجذب في عملية ذاتية الدعم خبرات جديدة التي تقوي بدورها الطاقة التكنولوجية. وتتمركز التكنولوجيا بشكل اساسي في المدن الرئيسية حيث الطلب عال ومعقد، وحيث مداخيل العمل هي الاعلى (II ،348).

ان اهمية صلاحية واهمية البناء التحتي (من طرق ووسائل اتصال وكهرباء...الخ) والذهني قد تم اهمالها خلال اوقات معينة في النظريات الاقتصادية التي تعود لزمن قريب. ولقد اظهرت الهجرة العالمية خلال العقود الاخيرة طاقة اناس مؤهلين التي اضطرت للانتقال الى الخارج. ولقد نجح هؤلاء في البقاء في اسواق عمل متنافسة مع اسهامات ذات قيمة مضافة عالية بالنسبة للبلدان المضيفة.

٤٠٣- الاطار السياسي، ادارة صغيرة وفعالة

يؤكد ابن خلدون بان التنمية الاقتصادية تتطلب اطارا سياسيا مستقرا. وهذه نتيجة تمت برهنتها خلال عقود التنمية الاخيرة.

ان بنية الامارة يجب ان تكون بسيطة ويجب ان تركز على وظائف اساسية قليلة مثل الدفاع، والدبلوماسية والمالية العامة (II،6-7). اما مراقبة الاسواق وفرض المبادلات المالية المنتظمة ومراقبة الابنية لحماية المسافرين فيجب ان تكون من الواجبات الدينية الاساسية (I ،292 ،462 - 463).

وقائمة ابن خلدون للمؤهلات الضرورية للحكام الجيدين هي قائمة مدهشة: "رغبة جامحة للخير، والخصال الحميدة، مثل الكرم، العفو عن الخطأ، مسامحة الضعيف، اكرام الضيف، دعم المحتاجين، تأمين حاجات الفقير، الصبر في ظروف غير مواتية، أداء الواجب بأمانة، الكرم بالنقود لصيانة الشرف، احترام القانون الديني والعلماء...، الايمان والثقة برجال الدين...، احترام شديد لكبار السن والمعلمين، قبول الحقيقة استجابة للذين يدعون لها، العدل والاهتمام بالضعفاء الذين لا يقوون على حماية انفسهم، العطف على الفقراء، الانتباه لشكاوي المتظلمين، تأدية واجبات القانون الديني والمسائل الدينية بكل تفاصيلها، تجنب الخداع، والغدر والمكر وتجنب اهمال الواجبات وما شابه. وهكذا، فاننا نعرف بان هذه هي صفات القيادة" (I ،292 - 293).

٥٠٢- فرص للنشاطات الاقتصادية الفردية

ان نظاما قابلا للعمل حسب ابن خلدون ينبغي ان يكون متوازنا. ويجب ان تقابل القيادة الحكيمة والضبط العام بحرية اقتصادية للافراد لا يعيقها قطاع عام سائد، او نظام تجارة احتكارية من قبل الحاكم او نظام يثقل كاهلها بعبء ضريبي فوق طاقتها ويدمر الحوافز الاقتصادية للعمل المنتج. وينبغي ان تكون الاسواق حرة من التدخلات العشوائية للدولة.

ويعي ابن خلدون بان فرض اسعار شراء منخفضة للمنتجات الزراعية من خلال احتكارات التجارة للحاكم تدمر الحوافز الانتاجية: "ان المشكلة والصعوبات المالية وخسارة الربح التي تسببها للمنتجين، تسلبهم كل حوافز العطاء، وتدمر بالتالي البنية المالية. ان تجارة الحاكم (التجارة الاحتكارية - المترجم) قد تؤدي الى دمار الحضارة". (II ،95). خلال العقد الماضي كانت هذه المشكلة تنطبق بشكل كبير على الانتاج الزراعي وسياسات الامن الغذائي لعدد كبير من البلدان.

٦٠٢- استقرار قيمة النقد

ان دار العملة في مكتب ديني. وعليها ان تحمي العملة الذهبية والفضية من التزييف الممكن او تخفيض نوعيتها من ناحية المحتوى المعدني. وعليها ان تضع اشارة الحاكم على النقود، وبذلك تضمن نوعيتها ونقاءها. ويرغب الناس في استقرار قيمة النقد. "عندما يقرر سكان منطقة معينة او جزء معين على مقياس للنقاء، فانهم يتمسكون به ويسمونه "الامام" او "العيار" (I ،464).

ويرى ابن خلدون ان للذهب والفضة مقياس ثابت للقيمة، مخطئا وغير واع لحقيقة ان قيمة هذه المعادن يمكن ان تتذبذب تبعا للعرض والطلب. ("ان كل الاشياء تكون عرضة لتقلبات السوق،

Digitized by Birzeit University Library

الربح، والحيازة، والكنز" (II ,313).

وكما في النظرية الحديثة، فان ابن خلدون يدرك الوظائف الثلاث للنقود بصفتها مقياسا للقيمة، وواسطة للتبادل، وخازنة للقيمة.

٧٠٢- المالية العامة

بالنسبة لابن خلدون فان من الضروري ان يتم تصميم نظام للضرائب بما يتناسب مع التطور الاقتصادي. وعلى الدولة ان تفرض فقط الضرائب تبعا لما يمليه القانون الديني (اي الشريعة. المترجم) مثل ضرائب الزكاة، والارض وضريبة الرأس. "ان لها حدودا ولا يمكن تجاوزها" (II ,89).

ومع ذلك فان ابن خلدون يعي بان المواقف المبكرة للصحراء تجاه الخير والاحترام واللطف او الرفق واحترام ملكية الاخرين تميل الى الضياع كلما استمرت السلالة في الحكم. لان ضرائب جديدة واعلى ستفرض على المكلفين وتثقل كاهلهم. وبذلك فانه يتم تثبيط النشاطات الاقتصادية (II ,90 - 91).

ان اقتصادا مزدهرا يوفر قاعدة ضريبية اقوى ويؤدي الى ايرادات عامة اعلى من معدلات ضريبية عالية ذات التأثيرات المثبطة في اقتصاد مضمحل: "تضمحل الاعمال، ويخسر المكلفون وسائل عيشهم، التي تأتي عادة من الاتجار. ولذلك، اذا لم يقم الناس بالاتجار في الاسواق، فلن تكن لديهم وسائل للعيش وستنخفض ايرادات الضريبة بالنسبة للحاكم او تضمحل، لان ... معظم هذه الايرادات يأتي من الضرائب على التجارة." (II ,110).

وهذا يقود الى اضمحلال الدولة، والمجاعة، والى التمرد السياسي. "في بداية السلالة، تعود الضرائب بايراد كبير من تقييمات صغيرة. اما من نهاية السلالة فان الضرائب تعود بايراد صغير من تقييمات كبيرة". (II ,89). ان هذه لصيغة اقتصادية كلاسيكية حقيقة ولم تفقد صلاحيتها.

٨٠٢- أسعار الغذاء

يؤيد ابن خلدون اسعارا منخفضة بالنسبة للغذاء لمقابلة الحاجات الاساسية للناس (II ,341 - 342). ولكنها (اي الاسعار المنخفضة - المترجم) لا يجب ان تتحقق من خلال اسعار شراء ادارية منخفضة ومثبته من قبل الحكومة بالنسبة للمزارعين، لانها ستؤدي الى قتل حوافز الانتاج (II ,95, 136).

٩٠٢- الازدهار العمراني للمدن

يصف ابن خلدون الاليات (الميكانيزمات) الاقتصادية - الاجتماعية والسياسية للازدهار العمراني للمدن: اذ يتنامى عدد السكان وتزداد الهجرة الى المدن، وتزداد القوة الشرائية فيها، وتتنوع الاسواق وفرص التخصص، وتنمو بالتالي انتاجية العمل والثروة.

وفي المركز تاحضري تسرع الحكومة هذه العملية من خلال الانفاق العام. ان القرب من الحاكم يعني مشاركة في التدفق الاضافي للدخل. وبكلمات ابن خلدون الخاصة: "تزداد ثروتهم لذلك، وينمو ثراءهم. وتتضاعف الضرائب ووسائل الترف، وكل الانواع المتعددة للمهن يتم تأسيسها بينهم. وهذه اذن حضارة راسخة". (287, II).

ويعرض ابن خلدون ايضا اسسا اولية لنظرية "المكان المركزي" التي تم لاحقا صياغتها بشكل اكبر من قبل كريستالر: ان المدن القائدة تمتلك مهنا متخصصة بشكل عال ولا يوجد مثلها في الريف. وتعتمد البنية التحتية المعقدة مثل الحمامات العامة على طلب فعال لمدن كبيرة ومزدحمة بالسكان. اما في المدن الصغيرة فان مؤسسات كهذه لا توجد، او انه تم اهمالها وتحولت الى خرب، لانه لا يوجد طلب عليها(II ,302).

واخيرا وليس اخرا، فلقد شدد ابن خلدون على خطر اهمال قضايا التصريف في تخطيط المدينة. فمع ازدياد الكثافة السكانية، "تنمو الفضلات وتتضاعف... وتؤدي الى ظهور امراض السخونة التي تؤثر على الامزجة، وتمرض الابدان وتضمحل. ان سبب نمو الفضلات والرطوبة الوسخة هو حضارة مزدحمة ومزدهرة بشكل غير متقلب. ولقد اوضح العلم انه لا بد من امكنة مناسبة لايجاد مساحات فارغة ومناطق للفضلات بين المناطق الحضرية. ان امرا كهذا يسمح بدوران الهواء. ويزيل الفساد والتعفن الذي يؤثر على الهواء بعد تلامسه بالاجساد الحية، ويجلب هواء صحيا.

وهذا هو السبب ايضا وراء الحدوث المتكرر بشكل اكبر للامراض المعدية التي تحدث في المدن المزدحمة بالسكان اكثر من اي مكان آخر. (II ,137).

١٠٠٢- الانفجار السكاني ونقص الاغذية

لدى ابن خلدون مفهوم ميكانيكي جدا عن النمو السكاني بصفته نتيجة لنمو الثروة والحضارة. "ان حكما لطيفا ورحب الصدر يخدم كحافز للمكلفين ويعطيهم الطاقة للنشاطات الاقتصادية. ان الحضارة ستزدهر، والالهام سيقوى، ان هذه الامور جميعا ستحدث تدريجيا. اما اثارها فيمكن ملاحظتها بعد جيل او جيلين على الافضل. وبعد نهاية جيلين فان السلالة تقترب من نهاية حياتها الطبيعية. وهنا تكون الحضارة قد وصلت اقصى حد لازدهارها ونموها". (II ,135).

ان سوء ظروف التصريف وظهور الامراض والامراض المعدية يترافق مع المجاعة. وعدد متزايد دوما من الفلاحين السابقين يهجر الزراعة بسبب الضرائب الثقيلة، والمصادرة وعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي ويهجر التمرد على خلفية عجز السلالة. وترتفع اسعار الطعام، وتحدث المجاعة (II ,136).

١١٠٢- عوامل الانهيار الاقتصادي

اذن، فان الازدهار العمراني الحضري كعملية تحمل معها بشكل موروث جراثيم دمارها الخاص. ان الاضمحلال يرتبط مع

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصاد السياسي للمالية العامة الذي يحاول في المراحل الاخيرة للسلالة ان يستغل قاعدة الضريبة بطريقة غير منتجة لمقابلة الطلب المتزايد على الارصدة بما في ذلك تمويل الجنود الاجانب المستخدمين لضمان سلطة السلالة.

ومن ناحية اخرى يرى ابن خلدون - بطريق كينزيه تقريبا (نسبة الى جون ميناردِ كينز - المترجم) - ان الاقتصاد يضمحل لان الحكومة وتحت ضغط مالي تحاول تقليل الطلب العام للاقتصاد الحضري على السلع والخدمات. (II ,103).

ويتميز نموذج ابن خلدون التطوري الدوري بحركات متوازية للسكان، والتحضر والمالية العامة منسوجة داخليا بمكونات نظام اجتماعي - نفسي، حضاري وسياسي. والتفاعل المتبادل لهذه المكونات يحدد ظهور وسقوط الحضارات.

ان الخلفية التاريخية التجريبية لابن خلدون كانت العالم الاسلامي في اسبانيا وشمال افريقيا. وفي زمانه، لاحظ هو التقلبات الدورية ضمن حدود دنيا وعليا مستقرة نسبيا. ولم تظهر الاقتصادات في زمانه صورة لتقدم مستمر نوعا ما كذلك الذي ميز عملية التصنيع المتلاحقة في اوروبا.

١٣٠٢- تلخيص

لقد ميز ابن خلدون بشكل صحيح العناصر اللازمة لعملية التطور: قيمة مضافة، عرض وطلب، استهلاك وانتاج، دور النقود والتكوين الرأسمالي، نمو السكان، المالية العامة، الازدهار الحضري، والدور الحاسم للزراعة، والاستقرار السياسي وظروف نظام التحكم الاقتصادي الاجمالي. ودافع عن الحوافز الاقتصادية، وحذر من السياسات التدخلية العشوائية وسياسات المصادرة من قبل الحكام. واعتبر التكافل الاجتماعي والشعور الجماعي والالتزام تجاه التنمية من قبل الحكام كمكونات حيوية اجتماعية - سياسية للتطور.

٢- اهمية نظام ابن خلدون لسياسات التنمية المعاصرة

لربما نتساءل عن مدى اهمية ملاحظات ابن خلدون وتوصياته بالنسبة لسياسات التنمية المعاصرة.

لقد قطعت الدول النامية طريقا طويلا منذ الاستقلال. وفي السنوات الاولى كان هناك توجه اشتراكي قوي، تبعه اعادة توجيه نحو عناصر السوق. وبعض الاقتصادات تبعت استراتيجيات السوق الحر منذ البداية وتحولت الى اشكال من الرأسمالية موجهة من قبل الدولة ومدعومة بعناصر دولة الرفاه العام (حيث تقدم الدولة اشكالا من المساعدة الاجتماعية للطبقات الوسطى والدنيا - المترجم).

ان التحول العام كان مثيرا للدهشة، وترافق بتنوع بين دول "العالم الثالث" (الاقواس للمترجم). وحتى دول متقدمة صناعيا مثل مصر وجدت نفسها في وضع من الصعب فيه ان تنافس الدول حديثة التصنيع في الشرق الاقصى مثل كوريا الجنوبية او تايوان.

وبالنسبة لاقتصادي تنموي، فان مفاهيم ابن خلدون التالية ملهمة:

- العصبية - مأخوذة على انها التزام تنموي وتكافل اجتماعي،
- دور العرض والطلب ودور تدخل الدولة،
- دور تأهيل العمل العلم والتكنولوجيا،
- الاستقرار السياسي،
- بساطة الادارة الحكومية،
- الاستقرار النقدي،
- المالية العامة،
- اسعار الاغذية والدعم الحكومي،
- التحضر، الضغط السكان والضبط البيئي.

ان الوضع التحليلي لعمل ابن خلدون مدهش حقا اذ تحتوي مقدمته تقريبا كل المفاهيم الهامة للنظريات الاقتصادية اللاحقة كتلك التي طرحها ادم سميث، دافيد ريكاردو، كارك ماركس، فالتر كريستالر، جون ميناردِ كينز وكل نظرية المالية العامة.

ولقد جمع ابن خلدون بين حب التفصيل التجريبي، والحكم القياسي، والدقة الذهنية - باختصار بين كل الادوات النبيلة الضرورية والمهنية لصانعي القرار المعاصرين الذين يتعاملون مع تشكيل النظرية والسياسة، وتطبيق المشروع وتقييمه.

(أ) الاستاذ الدكتور ديتر فايس - اقتصادي الماني يعمل في معهد اقتصاد الشرق الادنى (الاوسط) التابع للجامعة الحرة في برلين الغربية. عمل كخبير اقتصادي في مصر في عهد عبد الناصر، وكمستشار اقتصادي في عهد السادات. وكذلك في حكومة المستشار الالماني فالتر شيل.

(ب) عادل الزاغة - محاضر في دائرة الاقتصاد في جامعة بير زيت. ويحضر رسالة دكتوراة حول دور الضرائب المباشرة في تكوين رأس المال في الدول النامية: دراسة مقارنة حول انظمة وسياسة الضرائب في كل من مصر والاردن واسرائيل. دروس وعبر لدولة فلسطين، تحت اشراف الاستاذ الدكتور فايس.

(١) ابن خلدون، المقدمة: مقدمة الى التاريخ، مترجمة من العربية من قبل فرانز روزنثال، لندن، ١٩٦٨. الارقام الرومانية والعربية تعود على رقم المجلد والصفحة في ترجمة روزنثال، تباعا.

* يوجد هنا سوء فهم شائع بالنسبة لمفهوم ماركس عن القيمة. فماركس لم يخلط بين السعر والقيمة. وعندما تكلم ماركس عن كيفية تحدد القيمة فانه لم يقصد السعر، وعلى المدى الطويل، أشار ماركس، الى ان السعر، الذي يتحدد حسب ظروف الطلب والعرض في المدى القصير، يميل الى التساوي مع القيمة. (ملاحظة المترجم).

Digitized by Birzeit University Library

الانتفاضة

وبعض قضايا المرأة الاجتماعية

نظمت لجنة الدراسات النسوية في مركز بيسان للبحوث والانماء مؤتمرا نسويا عاما حول "الانتفاضة وبعض قضايا المرأة الاجتماعية" بتاريخ ١٤/١٢/١٩٩٠ في قاعة الفندق الوطني في القدس الشريف.

وحسب مركز بيسان فقد هدف هذا المؤتمر الى الافساح في المجال امام نساء من مختلف التيارات السياسية والفكرية والمناطق المختلفة ومن خلفيات مهنية متفاوتة للنقاش والحوار والجدل الصاخب احيانا للتعبير عن الهموم والمشاكل الاجتماعية والوطنية والنسوية بهدف طرح حلول مناسبة والعمل على تشكيل لجان او هيئات مستقلة لمتابعة هذه المشكلات ومحاولة تطبيق بعض الحلول المقترحة وضرورة تفعيل دور النساء الفلسطينيات في مواجهة بعض الظواهر الاجتماعية السلبية التي تعيق من تطور وتقدم الحركة النسوية الفلسطينية وفي شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

افتتح المؤتمر مدير مركز بيسان السيد عزت عبد الهادي واشار الى الاعتبارات التي حدت بمركز بيسان الى عقد هذا المؤتمر ودعا الى الربط المحكم والعميق ما بين مهام التحرر الوطني والمهام الديمقراطية والاجتماعية.

والقت السيدة زميرة كمال كلمة المجلس النسوي الاعلى اكدت خلالها على اهمية الارتقاء بدور المجلس النسوي للنهوض بالمهام المنوطة به على صعيد المرأة والابتعاد عن الفئوية الضيقة وتوسيع عضويته ليشمل الفعاليات النسوية المستقلة الراغبة في النشاط من خلاله، واقامة البرامج والانشطة الموحدة وبشكل خاص في المجالات التي تستدعي تكثيف جهود الاطر جميعا مثل الارشاد الاجتماعي والنفسي للمرأة، الاستشارات القضائية، تبني عيادات امومة وطفولة مشتركة، تبني دورات تأهيلية وبرامج انتاجية مشتركة. هذا اضافة الى الوقوف بشكل جماعي وموحد امام التحديات الكبيرة التي تواجهها والتي كان من ابرزها فرض لبس الحجاب ومنعها من المشاركة في النشاطات الاجتماعية".

والقى السيد فيصل الحسيني رئيس جمعية الدراسات العربية كلمة اشاد فيها بدور المرأة الفلسطينية خلال الانتفاضة.

بعد ذلك قدمت اوراق العمل الاساسية للمؤتمر وكانت الورقة الاولى بعنوان "الانتفاضة وبعض قضايا المرأة الاجتماعية" القتها السيدة ايلين كتاب المحاضرة في دائرة علم الاجتماع في جامعة بيرزيت ومنسقة لجنة الدراسات النسوية في مركز بيسان، حيث طرحت قضيتين اساسيتين الاولى، فحص امكانية وشرعية طرح بعض قضايا المرأة الفلسطينية في الانتفاضة كمرحلة من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية وبالتالي تقصي مدى اهمية الربط ما بين القضايا الوطنية والقضايا الاجتماعية. والثانية، الكشف عن واقع المرأة الفلسطينية وماهية القضايا الاجتماعية الملحة التي تواجهها ومدى شرعية التصدي لحلها والتعامل معها.

ورأت انه يمكن ان نرجع ضعف مشاركة المرأة النسبي في العملية الكفاحية والسياسية الى عدم وجود برنامج اجتماعي للانتفاضة يساهم في تطوير ودعم دور المرأة النضالي والسياسي، وعدم قدرة الحركة النسوية الفلسطينية عامة والاطر النسوية الجماهيرية خاصة على ترجمة العلاقة الجدلية ما بين الوطني والاجتماعي على المستوى التطبيقي، وعدم استمرار فعالية الاشكال التنظيمية الجماهيرية الديمقراطية في الانتفاضة مثل اللجان الشعبية ولجان الاحياء والذي تشكل في المرحلة الاولى للانتفاضة وشكلت المرأة فيها العنصر الاساسي، وبروز حركات سياسية واجتماعية سلفية تدعو الى فصل المرأة عن الرجل في الحياة العامة والعودة

Digitized by Birzeit University Library

الى القديم والمحافظة على نظام القيم والتقاليد وكانت الورقة الثانية بعنوان "الحركة الوطنية الفلسطينية ونظرتها نحو المرأة" قدمتها السيدة نهلة العسلي المحاضرة في كلية الاداب في جامعة بيرزيت. وتضمنت المحطات الرئيسية في نضال المرأة الفلسطينية التاريخي، وكانت الورقة الثالثة بعنوان "الحركات الاسلامية في الشرق الاوسط ونظرتها نحو المرأة" القتها د. ليزا تراكي الاستاذة المساعدة في دائرة علم الاجتماع في جامعة بيرزيت ركزت فيها على كيفية معالجة بعض الحركات الاسلامية لبعض قضايا المرأة مثل قوانين الاحوال الشخصية، والاختلاط والعمل خارج المنزل والحجاب وغيرها.

والورقة الرابعة كانت بعنوان "الى اين تتجه العلاقات الاجتماعية داخل العائلات الفلسطينية ابان الانتفاضة" وقد القتها السيدة اصلاح جاد المحاضرة في قسم الدراسات الثقافية في جامعة بيرزيت، تطرقت الى بنية العائلة الفلسطينية تاريخيا والمؤثرات التي ادخلت تغييرات ما على بنية هذه العائلة بعد عام ١٩٤٨ وبعد حرب ١٩٦٧ وصولا الى مرحلة الانتفاضة.

وكان موضوع الورقة الخامسة "دور المرأة السياسي والكفاحي خلال الانتفاضة مراجعة نقدية" القتها الانسة ريما حمامي طالبة الدكتوراه في جامعة "تمبل" في الولايات المتحدة الامريكية. قيمت المحاضرة دور النساء الفلسطينيات خلال الانتفاضة تبعا لمراحل ثلاثة مرت بها الانتفاضة الاولى هي فترة التعبئة الجماهيرية والثانية اتسمت بتأسيس وتطوير اللجان الشعبية والتي اصبحت تكون الحلقة المركزية في استراتيجية الانتفاضة. اما الثالثة فبدأت باعلان الحظر على اللجان الشعبية في تموز ١٩٨٨ حيث فقدت المرأة موقعا هاما في المشاركة الجماهيرية وفيها ادت توجهات الحركة السياسية نحو العمل السري الى تهميش دور المرأة ودور الجماهير بشكل عام.

واقيمت ورشات عمل مختلفة كانت الاولى للاطر النسوية حيث قامت الاطر النسوية الجماهيرية بنقاش مجموعة من القضايا الوطنية والديمقراطية الهامة المتعلقة بالمرأة الفلسطينية عبر تقديم اوراق عمل مقدمة من اتحاد لجان العمل النسائي واتحاد لجان المرأة الفلسطينية واتحاد لجان المرأة للعمل الاجتماعي واتحاد لجان المرأة العاملة.

والثانية كانت حول المرأة والتعليم عالجت الظواهر والمشكلات الاجتماعية السلبية التي يعاني منها القطاع التعليمي النسوي في مراحله المختلفة.

والثالثة ورشة عمل المرأة وحقوق الانسان التي هدفت الى تسليط الضوء على مجموعة الانتهاكات والاعتداءات التي تواجهها المرأة الفلسطينية في مجال حقوق الانسان في الاراضي الفلسطينية المحتلة.

والرابعة ورشة عمل المرأة في الصحافة والادب وعالجت بعض المشكلات الاجتماعية والظواهر السلبية التي تعاني منها المرأة الفلسطينية ودور الصحافة والادب في عكس هذه المشكلات العامة من جهة وكيفية التصدي لحلها من جهة اخرى.

وفي نهاية المؤتمر اقر المشاركون البيان الختامي والتوصيات النهائية. وفيما يلي البيان:-

البيان الختامي

بمبادرة من مركز بيسان للبحوث والانماء وبمشاركة الاطر الجماهيرية النسوية والجمعيات النسوية الخيرية الطوعية وبعض الفعاليات النسوية وعدد من الاكاديميين والمثقفين الفلسطينيين تم عقد مؤتمر الانتفاضة وبعض قضايا المرأة الاجتماعية تحت شعار "معا نحو النور والمساواة" وفي جو تسوده الديمقراطية وحرية الانتقاد.

وقد اجمع المشاركون على اهمية الدور المميز الذي لعبته المرأة الفلسطينية خلال الانتفاضة المجيدة وفي شتى المجالات السياسية والكفاحية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما عزز من النضال الوطني العام واكسب المرأة احتراما متزايدا في اوساط المجتمع الفلسطيني من خلال نضالها المستمر من اجل تحقيق اهدافنا الوطنية العامة في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة.

لقد امتنعت النساء الفلسطينيات وبمحض ارادتهن

Digitized by Birzeit University Library

تؤدي الى حرف الانظار عن النضال الرئيس ضد الاحتلال الاسرائيلي الا ان هذا التوجه الواعي والطوعي والمسؤول يجب ان لا يمنع من اثارة بعض القضايا والمسائل الاجتماعية والنسوية الهامة وخاصة تلك التي قد تعرقل من تطور دور المرأة الفلسطينية الكفاحي والسياسي وتهدد جميع المكتسبات والانجازات التي حققتها المرأة خلال نضالها الطويل ويمنعها من التواصل الفكري والحضاري مع بقية نساء العالم اللواتي يخضن نضالا مشتركا من اجل الحرية والديمقراطية والمساواة.

ولقد اتفق المشاركون ايضا على اهمية تسليط الضوء على بعض المشكلات الاجتماعية التي تواجهها المرأة الفلسطينية والتأكيد على اهمية البعد الاجتماعي والنسوي في النضال الوطني العام الذي تخوضه النساء الفلسطينيات وخاصة في ظل الانتفاضة حيث ضرورة الربط المحكم ما بين النضال الوطني والديمقراطي وعلى مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن خلال هذا المؤتمر تم استعراض وتحليل الظواهر والمشاكل الاجتماعية التالية:

١- ضعف مشاركة المرأة الفلسطينية في صنع القرار الوطني والسياسي العام وفي شتى المجالات في الداخل والخارج وبما لا يتناسب مع الوزن النوعي الخاص للمرأة الفلسطينية ودورها المميز طيلة سنوات الكفاح الفلسطيني.

٢- ظاهرة التسرب من المدارس والجامعات، وهي ظاهرة مغلقة وخطيرة بلغت اوجها خلال الانتفاضة بسبب من اجراءات الاحتلال التعسفية ضد مؤسسات التعليم المختلفة اضافة الى عدة عوامل اخرى ذاتية. ومن شأن استمرار هذه الظاهرة ان يؤدي الى ضعف مشاركة المرأة في النشاطات المجتمعية المختلفة.

٣- ظاهرة الزواج المبكر وتأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٤- التأكيد على الحقوق الاساسية للمرأة وعلى مبدأ التعددية السياسية والفكرية واحترام الحريات الفردية والمجتمعية ورفض اية ظواهر تسيء الى هذه المبادىء جميعا وخاصة ظاهرة الفرض والاكراه في لبس الحجاب.

٥- مشكلة النساء المعتقلات وضرورة تقييم الموقف الاجتماعي السلبي اتجاهها ومحاولة وضع حلول مناسبة لهذه المشكلة.

٦- الممارسات التمييزية المختلفة ضد المرأة في مجالات الحياة المختلفة وخاصة في مجالي العمل والتعليم.

هذا وقد اتفق المشاركون في نهاية المؤتمر على تشكيل لجنة موسعة من فعاليات نسوية مختلفة لمتابعة قضايا المرأة الاجتماعية وتقديم اقتراحات وتوصيات تعمل على حل هذه المشكلات وتطوير دور المرأة الفلسطينية بشكل عام.

عقد المؤتمر اربع ورشات عمل اساسية تفرع عنها مجموعة من التوصيات والاقتراحات نوردها فيما يلي:

١) ورشة عمل الاطر النسوية:

أ - تفعيل المجلس النسوي الموحد وتشكيل اجهزة متخصصة تابعة له، وضرورة عقد جلسة موسعة للمجلس النسوي وفعاليات نسوية مختلفة لبحث طرق تفعيله والعمل على توسيع هذا المجلس بعدد من الفعاليات النسوية المهتمة بتطوير وتغيير وضع المرأة.

ب - تطوير الدور القيادي والسياسي للمرأة الفلسطينية بما يتناسب مع الدور الهام الذي تلعبه المرأة الفلسطينية حاليا.

ج - دعوة القيادة السياسية الفلسطينية للاهتمام جديا بقضايا المرأة ووضع الحلول المناسبة لبعض مشاكلها الاجتماعية.

د - العمل على حصر قضايا المرأة المختلفة ومعالجتها مؤشر نوعي لبدء الاهتمام بها.

هـ- الطلب من مراكز الابحاث المختلفة اعداد ابحاث ودراسات نسوية تركز على بعض القضايا النوعية المميزة التي تواجهها المرأة.

و - البدء في تحضير مسودات قوانين تعيد بحث قوانين الاحوال الشخصية.

٢) ورشة عمل المرأة والتعليم:

Digitized by Birzeit University Library

أ - معالجة قضية التسرب من المدارس والجامعات. باعتبارها ظاهرة خطيرة جدا تؤثر على التعليم الفلسطيني في جميع المراحل التعليمية المختلفة ،وخاصة في المرحلة الالزامية ،وضرورة متابعة الحركة الفلسطينية لهذه المشكلة في مواضيعها المختلفة ،وضرورة دراسة اسباب التسرب الموضوعية منها والذاتية بعلاقتها بالمجتمع.

ب - ضرورة اعادة النظر بالمناهج التعليمية الموجودة ،ووضع اقتراحات عملية لتغيير هذه المناهج ، بما يتناسب مع الاتجاهات والتطورات الجديدة داخل المجتمع الفلسطيني.

ج - ضرورة التركيز على المناهج التربوية للاطفال، بما يضمن تطوير الحس النقدي للطفل الفلسطيني ، ويمكنه من الاطلاع على مختلف الاتجاهات والاراء الفكرية المختلفة.

د - تفعيل دور الجامعات في عقد دورات تربوية للمعلمين ومديري المدارس، والتركيز على دور المعلم والمدير في المدرسة للحد من ظاهرة التسرب.

هـ - ضرورة تنشيط مجالس اولياء الامور ، وتوثيق العلاقة بين المدرسة والمجتمع المحلي.

و - التأكيد على عمل برامج خاصة بالتربية المستمرة ، من خلال المراكز التربوية المختلفة داخل المجتمع ،وتطوير النشاطات اللامنهجية من خلال هذه المراكز.

٣) ورشة عمل المرأة وحقوق الانسان:

أ - تشكيل لجنة قانونية حقوقية لوضع هيكلية لبنود دستورية متعلقة بقانون الاحوال الشخصية والمدنية ،الذي يكفل للمرأة حقوقها كما نص عليها في وثيقة اعلان الاستقلال في تشرين الثاني/ ١٩٨٨ استنادا الى الاتفاقية الدولية لحقوق المرأة، والتي بوشر في تنفيذها في ايلول/ ١٩٨١ (اتفاقية القضاء).

ب - دراسة مضمون قانون الاحوال الشخصية الحالي،لتوعية النساء في القاعدة الجماهيرية،من خلال تفعيل دورهن داخل كافة الاطر والفعاليات النسوية.

ج - التنسيق بين المؤسسات الحقوقية الانسانية والحركة النسوية عامة، وخاصة فيما يتعلق بمعرفة الانتهاكات التي تتعرض لها المرأة الفلسطينية ،وكيفية النضال من اجل مواجهة هذه الانتهاكات.

د - ضرورة ان تأخذ القيادات السياسية دورها في تغيير الانماط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تؤدي الى دونية وضع المرأة،وان تعتبر ان من واجبها احداث

تغييرات هامة في هذه الانماط،وان يعد هذا واجبا اساسيا من واجباتها في المرحلة الحالية.

هـ - الاهتمام بالمرأة المشاركة في العمل الوطني والسياسي، وخاصة المرأة في المعتقل وضرورة الاهتمام بسجون النساء.

٤) ورشة عمل المرأة في الصحافة والادب:

أ - تحفيز وتنشيط الاقلام النسوية وتشجيعها وتطويرها.

ب - تحضير موضوعة متكاملة عن الحريات الديمقراطية وفرض الحجاب ودعوة الصحف لنشرها.

ج - انشاء مكتبة نسوية متخصصة تعمل على ارشفة تجارب نسوية عالمية.

د - ضرورة تعميم تجربة نسائنا الفلسطينيات،اللواتي يشاركن في مؤتمرات عالمية بحيث تخرج عن نطاق التجربة الفردية الى نطاق الاستفادة الجماعية لمختلف النساء الفلسطينيات.

هـ - عقد مباريات لافضل انتاج ادبي او صحفي للاقلام النسوية.

و - توظيف الاقلام النسوية في مختلف المجالات، حيث ان اغلبية المواضيع النسوية تكتب عادة من قبل الرجل،والذي لا يعرف الكثير عن قضايا المرأة الخاصة.

ز - التقدم بطلب الى رابطة الصحفيين الفلسطينيين في عقد مؤتمرات متوسطة واولية للمرشحات من الاطر النسوية من ذوي اصحاب الاستعداد الصحفي الاولي.

و - تقديم توصية للمجلس النسوي الاعلى بتشكيل لجنة اعلامية تهتم برفد الصحافة بمجموعة من الموضوعات ، التي تعالج هموم وشجون المرأة ومشاكلها الاجتماعية.

القدس الشريف

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر السابع والثلاثين للانتفاضة

دخلت الانتفاضة عامها الرابع، حاثّة المجتمع الدولي لبذل المزيد من جهوده لتنفيذ الشرعية الدولية وفق مكيال واحد.

وخلال هذه الفترة من عمر الانتفاضة قدم شعبنا الفلسطيني خيرة شبابه قربانا على مذبح الحرية والاستقلال.

وخلال الشهر الماضي سقط ١٦ شهيدا، وبهذا يصل عدد شهداء الانتفاضة حتى اواخر شهر كانون الاول ١٩٩٠ (١٠٠٠) شهيدا.

وفيما يلي قائمة باسماء شهداء الشهر السابع والثلاثين للانتفاضة:

السبت ١٩٩٠/١٢/١

- فايزة أحمد اسماعيل مفارجة (٢٩ عاما) بيت لقيا/ رام الله. اطلق عليها شرطي اسرائيلي النار بعد طعنها شرطيين آخرين في محطة الباصات بشارع نابلس في القدس.

الاحد ١٩٩٠/١٢/٢

- أحمد نايف سعيد حمدان (٦٠ عاما) عرابة/جنين. جراء استنشاق الغاز خلال المصادمات في القرية.

- جعفر عمر فارس دويكات (١٨ عاما) عراق التايه/نابلس. اصيب بعيار ناري اطلقه شرطي خلال العراك داخل سيارة باص عندما طعن الشهيد وزملاء آخرين، ثلاثة اسرائيليين في الباص قرب تل ابيب.

الاثنين ١٩٩٠/١٢/٣

- انور محمد أحمد حسن طقاطقة (١٧ عاما) بيت فجار/ بيت لحم. أصيب بعيار ناري في ساقه.

الاحد ١٩٩٠/١٢/٩

- محمد مرضي البدني (٢٧ عاما) بني سهيلة/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في الفخذ.

الاربعاء ١٩٩٠/١٢/١٢

- احلام ابراهيم عبد الله عايد حسين (١٢ عاما) بديا/نابلس. أصيبت بعيار ناري في الرأس.

السبت ١٩٩٠/١٢/١٥

- محمد احمد حسن ابو نقيرة (٢٥ عاما) رفح/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في الفخذ وظل ينزف اربع ساعات في مقر الادارة المدنية حتى استشهد.

الاثنين ١٩٩٠/١٢/٢٤

- جمال احمد اسماعيل عادي (٢٩ عاما) خربة صافا في بيت امر/الخليل. أصيب بعيارات نارية خلال مطاردته من قبل مجموعة من الجنود.

الاربعاء ١٩٩٠/١٢/٢٦

- علاء عبد اللطيف عبيد (٢٧ عاما) مخيم الشاطىء/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري من قبل احد الجنود، عندما حاول مهاجمة نقطة مراقبة عسكرية.

الخميس ١٩٩٠/١٢/٢٧

- خيري خضر محمود (٣٠ عاما) قرية عنزة/ جنين. متاثرا بجراحه التي اصيب بها يوم ١٩٨٨/٣/١٥، كان اصيب بعيار ناري في ظهره اسفر عن اصابته بشلل كامل.

السبت ١٩٩٠/١٢/٢٩

- اسلام محمد حرب مقداد (١٧ عاما)
- اسامة اسماعيل عبد السلام البلبيسي (٢٠ عاما)
- هشام يونس عبد الله ابو حرب (١٨ عاما)
- فوزي سعيد عبد العزيز عيسى (١٨ عاما)

استشهدوا في مجزرة رفح بقطاع غزة.

الاحد ١٩٩٠/١٢/٣٠

- ربيع حمزة عبد حمارشة (٢٥ عاما) يعبد/ جنين. اصيب بعيار ناري في رأسه على يد مسلحين مرخصين في البلدة.
- منار محمد علي باكير (١٩ عاما) نابلس. جراء انفجار عبوة ناسفة بين يديه.

واسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني واهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

أزمة المثقف في الجانب الاخر لارض الميعاد

صافي صافي

"من السهولة ان تتعرف على امثالي، شخصياتنا ميادين حرب تتصارع فيها اهواؤنا الذاتية والحقائق المرة للحياة والزمن، تستمر المعركة ويستمر النضال ونبقى معوقين باحباطاتنا وتستمر المعركة بلا حدود، انا اعرف كل هذا، انا الذي لا يزال يملك بقايا ثقة بالنفس اتساءل: اليس هذا المثقف المتقطرس هو القادر على قول الحقيقة للشعب الذي يجب ان يحيا حرا؟ هذا النقص في الثقة بالنفس والذي يتعمق بشعوري بالذنب لهروبي من ساحة النضال يجعلني اعيش ازدواجية قاتلة، لا تسله ماذا قدم للانتفاضة، انه مثقف، انظر الى يديه قلم يلمسها غبار الحجارة، انتم المثقفين متى يجيء دوركم؟ عندما تخلو الساحة من الرجال ..." ص ٧٨.

يؤرخ للثورات المعاصرة بتزامن مع مثقفيها، فتعقيدات الحياة والحلبة السياسية بالذات لمرتبطة اشد الارتباط بالتكنولوجيا وبالعصر النووي، والحيل العملية احيانا وحتى بالدجل التاريخي احيانا اخرى، كل شيء نعيشه في الحياة له مبرر، وكل شيء لم نعشه له مبرر هو الاخر، الحق والعدل له مبرر والخيانة من الوجه الاخر تصبح بطولة، تتحول الثورة الى ارهاب والارهاب الى ثورة، هكذا هي الحياة المعاصرة فما يتفق عليه هنا يعترض عليه هناك، وهناك جانب وهناك جانب آخر، ولعل الثورة الفلسطينية المعاصرة اكثر وضوحا امامنا في هذا المجال، وفي هذه الرواية "الجانب الاخر لارض المعاد" يحاول د.احمد حرب ان يعيد للمثقف موقعه في الثورة بعد ان اهمل والقى جانبا في مراحل الانتفاضة الاولى مثلا، وصارت كلمة "مثقف" هي اشبه بالشتيمة اكثر مما هي اقرب الى المديح، فالمثقفون هم من انطلقوا بالثورة منذ بداية هذا القرن ومع تقدمها اصبحوا يعيشون في عالم خاص بهم، يحكمون على الاحداث من صومعاتهم المقفلة والتي لا يسمحون لاحد بطرقها، كل همهم الكتب والمقالات وحب الظهور واعتلاء الثورة على حساب الخطوات العملية، هم الاكثر تنظيرا "وتفلسفا" والاقل ممارسة، يحكمون عقولهم في الاحداث ويحسبون الربح والخسارة حتى في الكتابة، وبالتالي يبتعدون عن العملية الثورية اكثر واكثر، بينما كان المطلوب منهم ان يتحولوا الى مثقفين ثوريين، فهل استطاع "وحيد" ذلك؟!.

انها مجرد صدفة، ليست اكثر ولا اقل، انها صدفة المثقف، "كنت قد رايته اول مرة بالصدفة عند كراج لتصليح السيارات" (ص ٦) التقى رجلا صغير البنية، نحيل الخصر، يتمنطق حزاما عريضا يغطي طرف معدته السفلي ويرتدي كوفية وقطاء يربط طرفيها خلف ظهره، يقف الى جانب الكراج مكتفا يديه امام صدره يراقب الزبون من غير ان يعيره احد انتباها (ص ٦)، لكن وحيد يمارس الكتابة الادبية فأعاره انتباهه، رد التحية عليه، تكررت الزيارات، سأل عنه صاحب الكراج، وبدأ علاقة بينهما بسرد قصة حياته (ابو قيس) وعلاقته بالثورة، اكتشف وحيد ان هذا الرجل يحمل قصة، وهو الكاتب الذي يبحث عن شيء يكتب عنه فوجده في هذا الرجل، قال: موضوع عظيم الرواية عظيمة (ص ٨) ومن خلال ثقافته الغربية واطلاعه على الادب الغربي من خلال دراسته قال: "تبدأ الرواية من نقطة غامضة يجري استكشافها من خلال خيوط قصصية حلزونية الحركة، دع صاحب القصة يحكي قصة، ودع قصته توازي قصة واخرى تناقضها واترك الحديث يتكلم عن نفسه واجلس انت بعيدا وقلم اظافرك كاله جويس" ص ٩.

هكذا بدأت قصة وحيد، قرر ان يتعرف على ابي قيس جيدا، فتعرف ... عالم مكون من عدة شخصيات لكل منهم قصة، وقرر بالتالي ان يطبق طريقة الكتابة الروائية (قصة توازي قصة) رغم ان وحيد لم يجلس بعيدا ولم يقلم اظافره كاله جويس، فالكتابة جعلته يقلم من طريقة حياته ونظرته للامور وموقعه من الاحداث، هكذا حدث.

وحيد الاكاديمي المثقف عاش في اكثر من حلقة، بعضها يتقاطع وبعضها يتناقض، وهو نفسه حلقة اضافية وهو نفسه الحلقة المتقاطعة مع هذه جميعا، احدى هذه الحلقات "ابو قيس": العجوز الثائر الذي عاش تجربة تاريخية مشومة (الانضمام للانجليز ثم للهاتريين ثم هربه ورجوعه الى اعماق التاريخ في وادي المثال في قرية العين، ماجد: المناضل العنيف، درس في جامعة بيرزيت وهو مهرب في الجبال، يقوم ويقود العمليات العسكرية ويريد الجميع ان يكونوا مثله، ام اسماعيل: المرأة الكبيرة في السن، المناضلة والمشاركة في كافة المظاهرات والعاملة على تخليص الشباب من ايدي الجنود، هادي: المتزوج امرأة يهودية الاصل يمنية المنبت، يناضل من خلال مكتب صحفي في القدس الشرقية ويصدر "الجسر" لجسر الهوة بين العرب واليهود، الشيخ عبد الله ومحمد: رجال الدين، وديعة: اخته التي احبت احد جنود الاحتلال والحكم العسكري والاحتلال من خلال الجنود والمتسوطنين وابو النمر. اين يقع وحيد من هؤلاء جميعا؟ "الكل يطالبني بالالتزام، ماجد في التنظيم تجد نفسك"، ابو قيس "الادب في خدمة الثورة"، هادي "السياسة والممكن" محمد "البندقية والهدى" الشيخ عبد الله "الايمان والعقيدة" حتى ضابط المخابرات يطالبني بالالتزام" (ص ٩١).

هذا هو الواقع الذي وجد نفسه وحيد فيه، وحيد هو كل هؤلاء وغيرهم بنسبة معينة لكنه ليس اي واحد منهم على الاطلاق، وحيد اراد ان يكون في الحديث

Digitized by Birzeit University Library

يستطيع ان يكون خارجه، وحيد يريد ان يعرف كل شيء وان "يتجسس" في خدمة اعماله الكتابية في الرواية وغيرها، فلم تسمح له شجاعته ان يقترب من الاجساد المسجاة، غرق في الحزن ووجد نفسه يبكي (ص ٤٤)، "لقد تورط"، اغلق النافذة وهو في مكتبه حتى لا يفسد الاطفال الذين يهتفون للثورة عليه افكاره التي لم تولد بعد ورآها اصواتا خشنة ترتفع مناقضة لكلماته (ص ٧٧) يعترف بغطرسته وباحباطاته والازدواجية القاتلة التي يعيشها (ص ٧٨) يرفض ان يتخلى عن غليونه رغم المعارك التي يخوضها مع زوجه واولاده، لم يستطع ان يذهب الى قرية العين واكتفى بمتابعة الاخبار عبر الراديو والتلفاز (ص ٨٠) اختبأ في زقاق عند المواجهة التي حدثت قرب مستشفى رام الله اثر مجزرة نابلس وشتم "جبان، جبان ... ما شاء الله على طولك" (ص ١١٦)، اقام حفلة طهور في زمن الانتفاضة الاول (ص ١٥٨).

كما تحاول كل شخصية ان تجر وحيدا الى موقعها فانه يحاول هو الاخر اخراج كل شخصية لموقع اكثر قربا منه، فهو الذي يحسب لكل خطوة حسابا حتى لا تخيفه، دائما يحك دماغه ويكتشف ان هناك خللا يجب اصلاحه او العدول عن الفكرة برمتها، لكنه يكتشف ايضا بانه اذا اراد ان ينغمس في الحدث حتى لو كان من اجل الكتابة عنه فلا بد من المخاطرة، وهو لا يريد المخاطرة.

حاول ان يقنع ابا قيس بأن لا يتسلل عبر النافذة الفرعية والقاء عصاه نظرا للمخاطر (ص٤٢) فيكون رد ابا قيس: "لماذا أنت خائف، انت لا تصلح للثورة، انتم المثقفون لا تتوقفون عن الاسئلة، دعوا الاحداث تخلق ذاتها ونحن نوجهها" (ص٤١، ٤٢، ٦٨)، طلب ابو قيس منه ان يصعد المئذنة ليعلن على تشييع جثمان الشهداء، يرفض بحجة ان صوته لا يساعده، اقترح عليه ان يبحث عن شخص آخر او لا يستعمل مكبرة الصوت اصلا، بحجة عن سيارته وهرب. (ص٦٩).

ومع ماجد ورغم انه كان احد طلابه في جامعة بير زيت فان ماجدا هو الاكثر تأثيرا عليه ولكن وحيدا لا يرحمه، يقول وحيد: "لو استشرت في العملية قبل تنفيذها لعارضتها، ما الفائدة ان نقتل مستوطنا ويقتلون عشرة منا وينسفون عشرات البيوت والمستوطنة باقية مكانها تكبر وتتمدد" (ص ١٣٩)، اما ماجد فيقول: "اسلتك غطاء تخفي تحتها رياءك وازدواجيتك، انت لا تملك الشجاعة للاجابة عليها، خوفك يقعدك عن مواجهة الحقيقة" (ص٨١).

أما موقعه من هادي كان مجهولا، ففي محاولة "مثقفية" يحاول جر هادي الى الحديث عن زواجه من يهودية (ص ٧٣)، رفض وحيد ان يوقع على وثيقة تستنكر العملية المسلحة، رد على اتهامه لهادي بالخيانة قائلا "فسرها كما تشاء فأنا الان لست وحيدا الذي كنت تعرفه، أنا الان ابحث عن الحقيقة في دهاليز وادي المنال، حقيقة قتل اختي وحقيقة يوسي وحقيقتك ايضا" (ص١٧٤)، بل ان هادي امنيته التي لم يستطع تحقيقها، يبتعد عنه ويجد نفسه بين احضانه، "انتم السابقون ونحن اللاحقون" (ص ١٤٧).

كل هذا الوضع والتناقض والتقاطع بين الشخصيات جميعا جعل وحيدا يعيش في ازمة، فهو العاجز عن مشاركة والتطابق مع ايتها شخصية فيرجع يجرجر اذيال هزيمته، وهو العاجز عن ان يكتب عن الواقع الذي تجاوز خيال الكاتب الاديب، فماذا يفعل؟!

كانت نقطة التحول الاساسية عند وحيد من مراقب و"متجسس" الى مثقف ثوري، يشارك في اللجان الشعبية ويبتعد عن رمز عجزه "الفليون" حين قرر هو وزوجه ان يعودوا لبيت في القرية فترة من الزمن، ومع ان بواعث قراره لم تكن الا اسبابا ذاتية انانية، الا ان الاحداث "ورطته" ايضا، فالسلطة العسكرية فرضت نظام منع التجول وهي في النهاية التي فرضت عليه المشاركة في الحدث، عاش الاحداث، قاد اوساعد في قيادة الاضراب والاعتصام لمنع هدم المغارة، اعاد صياغة مسرحية من رواية رجال في الشمس، ...، الى ان شعر بالارتواء، لقد وجد مكانه، وقربت احداث الرواية على الانتهاء، عاش الواقع الثوري فقرر ان يبحث عن غليونه ثانية ويعود بسيارته (الاداة التي عرفته على ابي قيس) الى رام الله (مدينة المثقفين والاكاديميين)، وكأن احمد حرب اراد ان يقول للمثقفين: اذا كنتم صادقين مع انفسكم فانزلوا تحت، انزلوا الى قاع التاريخ، عيشوا مع امثال ماجد وام اسماعيل والشيخ عبد الله وابو قيس ثم عودوا الى مكاتبكم، هكذا تكونون في خدمة الثورة.

وما دمنا نعيش ثورة مشوهة، كل منا مشوه، وحتى نزيل بعض التشويهات فيجب ان نعمل لان يكون كل منا له موقع في الثورة، كل منا يسد ثغرة يحفرها احدنا او يحفرها الاحتلال لنا، نحاول اكتشافها ومن ثم ننتقل لحفر ثغرة للاحتلال لايقاعه فيها، فماجد بحاجة الى وحيد ووحيد بحاجة الى ماجد، وابو قيس وام اسماعيل والشيخ عبد الله ومحمد وهادي ووديعة وايمان، انها الثورة.

هل اثر هذا التشوه على الرواية؟

نعم، "التاريخ كالكرة اينما تضع اصبعك يكون موقع الارتكاز" (ص ٣١) "الزمن كرة اينما تضع اصبعك تكون نقطة الارتكاز" (ص ١٣٨، ص ٢٢٩) وانه القرار (قرار الكاتب) ان يعيش وحيد مع ابي قيس ويضل اكثر التصاقا به، لقد اختار ان يكون الاقرب له دون ماجد وغيره، لقد اختار الاكثر تشوها (من وجهة نظري) وهو (وحيد) المشوه ثقافيا، ووجد ان "المثقفين قادرون على القيام بدور سياسي" كما يقول فرانز فانون (ص٩٣)، ابو قيس المشوه تاريخيا في النهاية قاد ثورة وقاد شعبا "صوت ابي قيس يردني الى حاضري، مشرعا

Digitized by Birzeit University Library

عصاه الى السماء والطائرات المروحية تحلق فوق رؤوسنا

اطلقوا شعبي!

اطلقوا شعبي!

اطلقوا شعبي!

وردت الجماهير الصرخة وهي تهز قبضات ايديها في الهواء

اطلقوا الشعب!

اطلقوا الشعب!

اطلقوا الشعب!

وتصورت الريح تحمل الصرخة وتدور بها في الحارات والشوارع والسهول والوديان فوق الصخر وفوق التل وعلى كل رابية وفي كل مغارة وتعود مجلجلة كالصدى الذي سمعته في وادي المنال"

لماذا قاد ابو قيس الجماهير؟ لماذا لا يكون ماجد هو القائد ما دام هو قائد العمليات العنيفة؟ لماذا لم يكن هاديا؟ اسماعيل؟ (وهما القادة السياسيون).

انها رؤية الكاتب بغض النظر ان كانت واقعا ام لا، فالكاتب وحيد هو الذي قرر ان الريح تدور بالهتافات وتعود مجلجلة ابو قيس يدخل الرواية منذ الصفحة الاولى غاضبا (ص٦) وتنتهي بكشف حقيقة ابو قيس (ص٢٢٥).

هذا التشويه يندرج على اللغة، فكما يحق للحاكم العسكري ان يتحكم بالشعب من خلال القوانين وبدون اسس وثوابت كان الكاتب هو الحاكم بامره الذي ألغى الفواصل والنقاط ورفع ونصب وحذف وأضاف، انها تحاكي الواقع وتتلائم معه بكل تماسكها وثغراتها، لقد ظل الباب مفتوحا لاشياء اخرى، قصة توازي قصة، وحدث يوازي ويرتبط بحدث، وعالم يختلف عن عالم، كان الكاتب (وحيد) حزءا منه، التقط غليونه وخط روايته.

هذا العالم الغريب كتب عنه كاتبان روائيان، اكاديميان مثقفان احدهما يقع اسمه على غلاف الرواية فقط من جانبيها والآخر يقع اسمه في الجانب الداخلي من الرواية، فحتى الرواية فيها جانبان، وتضيع الاوصاف بين هذين الاديبين، انه عالم مشوه"، فالمثقف يحاول ان يدرس افكاره بين ثنايا السطور، وكما يدس انفه فيما حوله، يدس كلماته وعباراته على من حوله، "انه عالم المثقفين"، فالكاتب، لا أعرف ايهما، قرر ان أبا قيس "اول حجر في وعينا الثوري" (ص٦٠)، وهو الذي حكم على ان "المعركة غير متكافئة" (ص٦٩)، ولان حكمه هكذا تخيل ان "الجرافات العسكرية (زالت) الحواجز بسهولة" (ص٦٩)، ولانه يخاف ان يكون في الحدث فقرر الهرب وحكم على الاخرين من حوله مثله "كنا نسير جميعا في الجنازة بسرعة كأننا نريد الخلاص من عبء كبير" (ص٦٩) رغم أن قرية العين "نموذج للنظام ونكران الذات" (ص ٧٠) ولم يكتفيا الكاتبان ب "احضروا السيارة عند شروق الشمس مهشمة من رشق الحجارة" وقررا ادخال عبارة "يبدو ان الشباب قد اكتشفوا حيلتهم وافشلوا مهمتهم" (ص٧١)، ولم يكتفيا ايضا بنقل "عملية النسف حية على شاشة التلفاز" بل وضحا ان ذلك تم "لردع الآخرين عن القيام بسفك الدم اليهودي" (ص٨٠)، بل وعمل الكاتب احمد حرب على منح وحيد من التعبير عن مشاعره حين عاد الى قرية العين بعد سماعه خبر مقتل فتاة مناك وهو الذي كان يعرف ان اخته وديعة كانت مقدمة على عمل عسكري الا انه حين وصوله لبيت ابيه وشاهد الناس يتجمعون مناك سأل اباه: يابا ماذا حصل؟ من الذي مات؟ قل لي

- لعنة الله على ابوك.

- امي ماتت. (ص ١٢٠)

ويهرب وحيد في الصفحة التالية من تداعيات تأثير وديعة عليه.

هكذا كانت الرواية، انها جزء من الواقع الذي نعيشه وكما استطاع ابو قيس وماجد وام اسماعيل وغيرهم من اختراق الحواجز، استطاع وحيد ذلك وكذلك احمد حرب "والجانب الاخر لارض المعاد".

الثقافة والانتفاضة القدس

عن اثر الانتفاضة في الثقافة الوطنية الفلسطينية، وعن اثر الثقافة في الانتفاضة، صدر كتاب عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الشفة والقطاع للزميلين المتوكل طه وابراهيم جوهر.

وجاء الكتاب في مائتين وتسعين صفحة عن القطع الكبير، تضمن مقدمة للكاتب وسيم الكردي بعنوان ثقافة الانتفاضة وانتفاضة الثقافة، وفصولا حول الانتفاضة واثرها على مناحي حياتنا وحول القمع الاسرائيلي للثقافة الوطنية، واثر الثقافة في تفجير الانتفاضة بالاضافة الى تناوله لمظاهر الانتفاضة في الثقافة قبل بدء الانتفاضة.

أما مادة الكتاب بمجمله فقد ركزت على مكونات الثقافة وعلاقاتها بالانتفاضة، وهي: القصة القصيرة، الشعر، ادب السجون، الثقافة الشعبية، الاغنية الشعبية، والمرأة والثقافة، وأدب الاطفال، والمسرح في ظل الانتفاضة، والفن التشكيلي، والصحافة في الانتفاضة، والتعليم الشعبي، وقد خلص الكتاب الى معادلة التحدي الفلسطيني امام التفريب الاحتلالي واستمرار الصراع الحضاري الذي سينتصر فيه التحدي المرتكز على حضارتنا وتراثنا المضيء. كما تضمن الكتاب عدة ملاحق كشفت عن اجراءات الاحتلال ضد ثقافتنا ومثقفينا، واوضحت مجمل النشاطات الثقافية الكبيرة التي اقيمت لمساندة الثقافية المقاومة في ظل الانتفاضة.

ويعتبر الكتاب الاول من نوعه حيث تضمن، بالاضافة الى ما ذكر، الى عدة دراسات لمجموعة من النقاد، بجانب اراء للعديد من الادباء والكتاب والمثقفين، الامر الذي جعل الكتاب مرجعا لدراسة موضوعة الثقافة والانتفاضة اكثر من اعتباره دراسة

Digitized by Birzeit University Library

بين فلسفة الثائر واستلهام التراث

في اقوال جديدة عن حرب البسوس

قراءة في قصيدة امل دنقل

د. وائل ابو عرفة

... مدخل:-

... لقد كان دنقل شاعر الرفض والبساطة، والقارىء لشعره يجد نفسه امام غشاء من الهيبة والوقار، وامام جودة فنية نادرة، وبراعة شعرية في تطويع الكلمات ورسمها لخدمة القصيدة، ووراء كل قصيدة له تختفي نظرة فلسفية عميقة، امتاز امل في تسخير الشعر للتعبير عنها تارة بالمباشرة، وتارة والتلميح.

وبالرغم من استعماله للرمز وتوظيف التراث والاسطورة، فانه يبقى شاعرا واضحا بسيطا، يوظف هذه الرمزية بطريقة مثالية، من اجل ايصال فكرته وفلسفته للناس، ولعل وراء تلك البساطة والقدرة على استخدامها سببين:-

الاول: اعتزاز امل بانتمائه للتراث العربي الاسلامي، والرجوع اليه في معظم قصائده، حيث يعتبر من اكثر الشعراء المحدثين في استقراء هذا التراث، ابتداء ببكائيته الشهيرة بين يدي زرقاء اليمامة، ومقابلته الخاصة مع ابن نوح، وحتى محاكاته الدرامية لحرب البسوس.

ففي الوقت الذي نجد فيه الكثير من الشعراء المحدثين قد افاضوا في استخدام الاساطير اليونانية في قصائدهم، نجد اصرار امل، على استخدام التراث العربي وتوظيفه لخدمة اشعاره وقصائده، بروح عصرية، وصياغة شعرية خلاقة، ايمانا منه بأن العرب هم في الاصل اصحاب كل تراث المنطقة، وهذه الحقيقة، جعلته لا يلتفت حتى الى التراث الفرعوني الغني، وهو ابن المنطقة الى تزخر بكل عراقة وآثار هذا التراث ... «لأن الانسان المصري لا يعيش التاريخ الفرعوني باعماقه، بل ان انتماءه الحقيقي هو انتماء عربي اسلامي»، والدارس لقصائد امل يدرك مدى تعمقه في هذا التراث وتشبعه به، وانتمائه اليه.

والسبب الثاني لبساطة امل ووضوحه وقوة ابداعه، هو حياة امل نفسه، تلك المسيرة الحياتية الزاخرة بالبؤس والشقاء والتعب، والتي عاشها بكل ساعاتها وايامها، والتي تظهر بصماتها واضحة على اعماله حتى رحيله عن الدنيا في تموز ١٩٨٣، بعد صراع طويل مع المرض، والذي يعبر عنه خير تعبير في مجموعته التي صدرت بعد وفاته (اوراق الغرفة رقم ٨).

● امل دنقل ●

... التعريف بالقصيدة:-

كتب امل هذه القصيدة في الفترة ما بين ١٩٧٥ - ١٩٧٦ وهو يحاكي من خلالها الاسطورة المعروفة في التاريخ العربي عن حرب البسوس، او كما تعرف في الرواية الشعبية، بحكاية الزير السالم، هذه الحكاية التي يرد ذكرها دائما كمثال على قضية الثأر القبلي عند العرب، في حرب ضروس استمرت اربعين عاما.

وقد استطاع امل كعادته ان يوظف هذه الاسطورة، ببراعة نادرة في كتابة قصيدته الشهيرة، وان يطورها شعراء من وجهة نظر معاصرة، مطابقا اياها لواقع سياسي واجتماعي ساد تلك الفترة ومايزال، وهو من خلال هذه المحاكاة الاسطورية الشعرية يبرز قضيتين اساسيتين:-

الاولى: نفيه لقضية الثأر الشخصي كعنصر اساسي وسبب مباشر لتلك الحرب واستمرارها، وابرازه لقضايا سياسية واجتماعية ووطنية وذلك من خلال شهادات واقوال ابطال تلك الملحمة.

والثانية: استخدامه لتلك الاسطورة التاريخية بصورة رمزية لتصدير واقع عربي لذلك وممزق، ناقدا اياه بشكل مباشر وجريء، نقدا مدعوما بالادلة والحيثيات التاريخية.

«ففي كتابه عن التراث الانساني في شعر امل دنقل، يتعرض الدكتور جابر قمحيه باسهاب لهذه الملحمة، مناقشا عمقها الانساني وظروف كتابتها، واصفا اياها بأنها

Digitized by Birzeit University Library

عريضة سياسية للنقض، تنبع من عمق التراث».

وفي معرض تعليقه على القصيدة يقول امل دنقل:- ..«حاولت ان اقدم هذه الحرب التي استمرت اربعين عاما عن طريق رؤيا معاصرة، وقد حاولت ان اجعل من كليب رمزا للمجد العربي القتيل».

وعودة للقصيدة ... والتي قدمها امل دنقل، دون تغيير في حقيقة احداثها وعلى لسان ابطالها، مستهلا اياها باستحضار كليب في لحظاته الاخيرة وكما جاء في الحكاية الاصلية: "ونظر كليب حواليه وتحسر، ونرف دمعة وتعبر، ورأى عبدا واقفا وقال له: اريد منك يا عبد الخير، قبل ان تسلبني، ان تسحبني الى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير، لاكتب وصيتي الاخيرة الى اخي الامير سالم الزير، فاوصيه باولادي، وفلذة كبدي، فتسحبه العبد الى قرب البلاطة ، ففمس كليب اصبعه بالدم، وخط على البلاطة، وانشأ يقول:».

ووصية كليب هنا هي حث لاخيه على الثأر للحق ومكافحة قوى الشر والهيمنة، مدعومة بالادلة والمبررات التي تنفي عنها صبغة الثأر الشخصي والنعرة القبلية، يطرحها امل من خلال قصيدته كدعوة للتحرر والانعتاق ومقاومة الظلم.

.... لا تصالح .... ولو منحوك الذهب..
أترى حين افقأ عينيك
هل أثبت جوهرتين مكانهما ... هل ترى؟!
....
.....
أتنسى ردائي الملطخ ..
تلبس فوق دمائي ثيابا مطرزة بالقصب؟؟؟ هنا دعوة كليب للثأر وعدم المهادنة، هي دعوة لعدم التنازل عن الحق، ولو كان ذلك مقابل مكسب ثمين فما نفع الجواهر مكان العيون، اذا انت لا تستطيع الرؤية بها؟ وحتى في لحظاته الاخيرة، يتوقع كليب ان يحاول الخصوم استرضاء اخيه، والتوجه اليه باسم القرابة ورابطة الدم، فيؤكد له على عدم الرضوخ، لأي من الاغراءات من منطلق ان القضية هي وصية حق عام وقضية عدل ووفاء.

سيقولون جئناك كي تحقن الدم
جئناك كن يا امير الحكم
سيقولون ها نحن ابناء عم
قل لهم: انهم لم يراعوا
العمومة فيمن هلك

... ويضفي امل بعدا انسانيا آخر على ومايا كليب، من خلال استذكاره لابنته وحالها بعد مقتله، كمثل حي لضحايا المجد العربي القتيل:-

... وتذكر:-
ان لبنت اخيك اليمامة
زهرة تتسربل في سنوات الصبا
بثياب الحداد.
كنت ان عدت تعدو على درج القصر
تمسك ساقي عند نزولي،
فارفعها وهي ضاحكة فوق ظهر الجواد
ما هي الان صامتة
حرمتها يد الغدر من كلمات ابيها،
... ارتداء الثياب الجديدة،
فما ذنب تلك اليمامة
لترى العش محترقا فجأة
وهي تجلس فوق الرماد.

ويمتاز اسلوب امل في هذه الملحمة الشعرية، ببراعة التداخل والانفعال ما بين الرفض والتحريض، مع التبرير وابراز الادلة، فلا ترى وصية لكليب الا ويتبعها دليل مبرر لها، يصل في بعض الاحيان الى شكل الوثيقة الانسانية حيث يحاول من خلال ومايا وابنة لاخيه بالثأر ان يجعل من هذه المهمة قضية حق لاجيال متلاحقة، فهو ان تقاعس عنها فهناك اجيال بانتظار لحظة المتابعة:-

سيقولون ها انت تطلب ثأرا يطول
فخذ الآن ما تستطيع ... قليلا من الحق
في هذه السنوات القليلة.
... انه ليس ثأرك وحدك
لكنه ثأر جيل فجيل
وغدا سوف يولد من يلبس الدرع كاملة
يوقد النار شاملة
يطلب الثأر ... يستولد الحق
من أضلع المستحيل.

ويوضح كليب انه كان على استعداد للصفح والغفران، لو انه كان قد مات دون قصد وسبق اصرار، او انه كان قد قتل اثناء تعديه على حقوق الغير او لو انه كان قد دعي الى المبارزة على عادة العرب، ولكن ما يعز عليه ويؤثر فيه انه قتل غدرا وخداعا لا لسبب الا لكي يشفي القاتل غليله، ويشبع حسده وحبه للسيطرة، ظنا منه انه يحقق رغباته عن طريق القتل والاغتيال:-

كنت اغفر لو انني مت ...
بين خط الصواب وخط الخطأ.
لم اكن غاديا
لم اتسلل قرب مضاربهم
لم امد يدا لثمار الكروم
لم يصح قاتلي بي انتبه
كان يمشي معي ... ثم صافحني
ولكن في الغصون اختبأ
ثقبتني قشمريرة بين ضلعين
وامتز قلبي كفلقاة وانفلقا
....
....
والذي اغتالني محض لص
تشرق الارض من بين عيني
والصمت يطلق صرخته الساخرة.

اما اليمامة ابنة كليب والتي ترفض الصلح رفضا قاطعا كما تقول الحكاية، رغم توسل نساء القبيلة اليها بما فيهن امها جليلة، فهي تبرر رفضها هذا، بأنها لا تطالب سوى باحقاق الحق، ولن يرضيها سوى عودة ابيها على ظهر جواده بكل قوته وعنفوانه:-

ابي لا مزيد ..
اريد ابي عند بوابة القصر
فوق حصان الحقيقة

Digitized by Birzeit University Library

ولا اطلب المستحيل ... ولكنه العدل.

وبعد ان تدلي اليمامة بشهادتها في قصيدة امل، وكما جاء في الحكاية، فهي تنهي هذه الشهادة بالاصرار والامل:-

قلوا يا شباب

كليب يعود

كمنقاء احرقت ريشها،

لتظل الحقيقة ابهى

وترجع حلتها في سنا الشمس ازهى

وتثمر اجنحة الند

فوق مدائن تنهض

من ذكريات للخراب

المراجع

- ديوان امل دنقل - دار العودة ١٩٨٨.
- الدكتور جابر قميحه - التراث الانساني في شعر امل دنقل ١٩٨٨.
- مجلة الشعر - تموز ١٩٩٠ - ملف امل دنقل.

رحيل عميد الادب الفلسطيني الدكتور اسحاق الحسيني

رحل عنا يوم ١٩٩٠/١٢/١٧ العلامة الدكتور اسحاق موسى الحسيني عن عمر يناهز ٨٦ عاما قضاها عالما ومعلما، تربى على يديه العديد من الاجيال، وكبار المفكرين والمبدعين.

واسرة تحرير "الكاتب" اذ تقدم تعازيها الحارة الى ذويه ومعارفه واصدقائه، ستظل تستوحد بما قدمه المفكر الكبير من خدمة وتطوير الحركة الثقافية في بلادنا. وهو الذي كان يقول:

"نحن امة خلفت وراءها تراثا من الفكر المشرق والادب الرفيع خالدا.. وامة هذا شانها لن تبيد".

د. اسحاق الحسيني في سطور

* هو اسحق بن موسى بن صالح بن عمر الكبير نقيب اشراف القدس، وفي القدس في العهد العثماني كان مولده سنة ١٩٠٤.

* تلقى تعليمه الابتدائي في الكتاتيب، ثم في المدارس النظامية منها: مدرسة نيتر الزراعية في يافا ومدرسة ياور سلطان سليم في القدس، والكلية الصلاحية في القدس ايضا.

* وفي عهد الانتداب اكمل تعليمه الثانوي في مدارس شهيرة منها مدرسة الفرير والمدرسة الرشيدية، ثم الكلية الانجليزية التي انهى فيها دراسته الثانوية سنة ١٩٢٢.

* التحق بالجامعة الاميركية بالقاهرة من سنة ١٩٢٣ - ١٩٢٦ حيث حصل على شهادة الدبلوم في الصحافة.

* عاد الى القدس فعمل مدرسا في المدرسة الرشيدية وكان خلالها طالبا في مدرسة الحقوق بالقدس.

* في سنة ١٩٢٦ التحق بالجامعة المصرية متخصصا في اللغة العربية واللغات السامية ونال درجة الليسانس بامتياز في السنة الدراسية ١٩٢٩ / ١٩٣٠.

* ثم التحق طالبا بجامعة لندن من ١٩٣٠ - ١٩٣٤ حيث نال درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف الاولى ثم دبلوم اللغات السامية ثم درجة الدكتوراه في الادب.

* التحق خلال ذلك بجامعة توبنجن بالمانيا مدة فصلين دراسيين سنة ١٩٣٣ دارسا متخصصا في اللغات السامية.

* في سنة ١٩٣٤ عاد الى القدس فعمل مدرسا في الكلية الرشيدية ثم في الكلية العربية حتى سنة ١٩٤٦.

* في سنة ١٩٤٦ عين مفتشا أعلى للغة العربية في ادارة المعارف العامة في فلسطين حتى عام ١٩٤٨.

* بعد محنة عام ١٩٤٨ عمل مدرسا في الجامعة الاميركية ببيروت من عام ١٩٤٩ وحتى ١٩٥٤، اعير في اثنائها الى جامعة مكجيل (كندا) مدة عام.

* في سنة ١٩٥٥ عاد الى القاهرة، وعمل استاذا في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، ورئيسا لقسم اللغة العربية وآدابها فيه، ثم استاذا في الجامعة الاميركية بالقاهرة حتى عام ١٩٧٣. وفي اثناء ذلك قضى عاما استاذا زائرا في كلية سمث بولاية ماسشوستس بالولايات المتحدة سنة ١٩٦٦.

* انتخب عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦١.

* انتخب عضوا في مجمع البحوث الاسلامية في الازهر سنة ١٩٦٣.

* انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧١.

* انتخب عضوا في مجلس امناء كلية العلوم والتكنولوجيا جامعة القدس، ورئيسا لكلية الاداب للبنات (احدى كليات جامعة القدس) سنة ١٩٨٢.

* حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى من جمهورية مصر العربية في ١٥ آذار ١٩٨٣.

Digitized by Birzeit University Library

فرق الفن الشعبي والوعي بالتراث الشعبي

هادي القدسي

تدخل السياسة في الفن ويدخل الفن في السياسة دائما بحيث يصبح الحديث عن الفصل بينهما سباحة في الفضاء. ويتجلى وضوح هذه العلاقة في المراحل الحرجة التي تشهد تغيرات نوعية في تاريخ اي شعب. وقد عبر ميخائيل خرايجنكو عن هذه الحقيقة قائلا «كثيرا ما احدث تطور الحياة الاجتماعية حافزا جماليا قويا وايقظ حاجات ايديولوجية، جمالية وروحية تستحث الفنان وهذا ما يحدث عادة في نقاط التحول التاريخية، في عهود النهضات الاجتماعية وما يحدث في بعض الاحيان ايضا خلال المراحل الحرجة من حياة مجتمع ما».

ونحن كشعب فلسطيني نعيش مرحلة حافلة بالتغيرات.. مرحلة تطرح فيها شعارات وطنية مثل الحرية والاستقلال واخرى اجتماعية مرتبطة بها تدعو الى التكافل الاجتماعي والتعاون والتقشف ونبذ الفردية والاستهلاكية وانتشار قيم جديدة تطلق يد المرأة الفلسطينية وتعطيها المجال للتعبير عن نفسها، ومفاهيم اخلاقية فرضتها مقتضيات المرحلة.

وفي هذه المرحلة بالذات يصبح غير مفهوم اطلاقا ممارسة اعضاء في فرقتنا الفنية الشعبية للازدواجية الفاضحة بارتدائهم الزي الشعبي الفلسطيني خلال عروضهم الفنية كتعبير عن التمسك بهذا الزي كجزء من مقومات الهوية الوطنية من جهة، وتبني مفاهيم بعيدة عن اصالة شعبنا زيا وسلوكا قبل او بعد العرض الفني من جهة اخرى.

كما نجد ان الغالبية العظمى من اعضاء هذه الفرق لا يعرفون شيئا من التراث الشعبي الفلسطيني سوى دبكات جفرا والدلعونا والطيارة وبعض الدبكات المعروفة الاخرى، واغاني الدلعونا "وزريف" الطول وليا وليا وغيرها من الاغاني الشعبية المعروفة، ونلاحظ عدم ارتباط حسهم بالتراث الشعبي الا خلال العمل الفني وكأن المسألة مسألة قسرية يفرضها ارتباط العضو بهذه الفرقة او تلك طالما لم تتوفر انماط اخرى من الفرق الراقصة او طالما ان العضو يحب الدبكة!!.

ان الامعان في النظر الى واقع فرق الفن الشعبي ومحاولة ادراك مدى العلاقة بين اعضاء الفرق والتراث الشعبي او حتى بينهم وبين العمل الفني الذي يعرضونه، فان الحقيقة المؤلمة التي سيتم التوصل اليها هي انعدام الصلة بالتراث في كل الحالات، وليس قبل او بعد العرض الفني فقط، فلا يكفي ارتداء الزي الشعبي واتقان الدبكة او الرقصة الشعبية حتى تتحقق هذه الصلة، من الضروري دراسة وفهم التراث الشعبي لكي تنجح عملية التواصل بين الفنان والجمهور، ولكي يتم التعبير بصدق عن روحية الشعب الذي يتناول تراثه في عمله الفني الكبير هذا يجعل الفنان يتعايش مع تراثه بكل تفاصيله، وفي مرحلة التحرر الوطني التي تستدعي التأكيد على الهوية الوطنية، لا بد من الالمام التام بكنوز التراث الشعبي وابرازها قدر الامكان عبر مختلف الاساليب وعلى مختلف الصعد بحيث تصبح مصدر فخر واعتزاز لدى الفنان والجمهور.

وفهم العلاقة بين الشعب وتراثه بشكل عام والفنان الشعبي وتراثه بشكل خاص، يساهم في ارساء مفاهيم متطورة تؤدي الى صياغة عصرية للواقع تستشرف المستقبل وتبني اسسه الراسخة. الا انه وحتى الآن ما زالت العلاقة غير قائمة بالشكل المطلوب وذلك لعدة عوامل موضوعية وذاتية، منها عوامل تتعلق بعدم وضع الفرق لبرامج ثقافية تقوي العلاقة بين اعضائها والتراث اذ ما ظل دورها مقتصرا على التدريب على الحركة والتشكيلات فقط.

وعدم وجود ندوات ولقاءات ثقافية تشارك فيها الفرق المختصة ومختلف المهتمين بالتراث الشعبي، التي من شأنها التعريف بالتراث الشعبي عموما والفلسطيني خصوصا من مختلف جوانبه، لان مثل هذه الندوات واللقاءات ستمنح عضو الفرقة حصيلة ثقافية معرفية تجعله منسجما مع نفسه، وقادرا على نقل المعرفة والتجربة الى الناس، وتعريف العالم بتراث شعبنا وارتباطه بالتاريخ والارض والانسان. ومنها عوامل تتعلق بمدى الاستعداد لدى عضو الفرقة لتوسيع مداركه وتقوية صلته بالتراث، فالموهبة بشكل صحيح هي ثمرة التثقيف والتثقيف الذاتي ولا يمكن ان تأتي بالوحي، وتطوير الموهبة لا يتم من خلال الممارسة الابداعية في العمل الفني وحسب، بل ومن خلال الممارسة الاجتماعية في الحياة العامة ايضا. كما ان اقتصار اهتمام العضو بالدبكة كنوع من انواع الرقص وتجاهل شمولية النظرة الداعية الى الاهتمام بكل جوانب التراث واستخدامه في التأكيد

Digitized by Birzeit University Library

الانتماء لدى بعض الاعضاء، خصوصا الذين ينتمون الى الفرق الجامعية والمنحدرين من اصول اجتماعية لا تستطيع ان تخلق جسورا من التفاهم بينها وبين التراث الشعبي الكفاحي، الا اذا اضطروا لاحداث القطيعة بينهم وبين اصولهم الطبقية. وفي هذه الحالة تنزاح العقبة الموضوعية المتمثلة في الواقع الطبقي، ويصبح المجال مفتوحا امامهم للابداع اكثر من غيرهم لكونهم لم يخضعوا لنفس القيود الاجتماعية التقليدية، وخصوصا تلك التي تمنع الفتاة من الاختلاط بالجنس الاخر وتحرمها من تطوير مواهبها.

ولكي يتم تطوير العلاقة بين اعضاء فرق الفن الشعبي والتراث الشعبي يجب تجاوز العوامل السابقة كمعيقات من خلال وضع الفرق لبرامج تثقيفية تساهم في رفع مستوى اطلاع اعضائها على التراث، واحداث ندوات ولقاءات ثقافية متنوعة، واصدار نشرات متخصصة تعنى بالفرض، واقامة نشاطات فنية ومعارض دورية يشعر الناس بالفراغ عندما يتأخر القيام بها، والاهتمام بتدريب اعضاء صغار السن، بحيث يكتسبون مهارات الرقص والغناء والتذوق الفني منذ الصغر وبذلك يتجاوزون العقبات المتعلقة بليونة الجسم وصقل الحناجر والقدرة على تقييم الاعمال الفنية وتذوقها بوعي.

ونظرا لندرة الابحاث والكتب المتخصصة فان الواجب يفرض على المتخصصين الاكثار من الكتابة، وجعل تراث الشعب في متناول ايدي مبدعيه لا من الناحية المادية فقط، بل، من الناحية الثقافية ايضا. كما ان المؤسسات والمراكز والجمعيات المختصة مطالبة بتجاوز النهج التقليدي الجامد والانطلاق بحيوية وروح عصرية متفتحة تمحو من الذاكرة الفكرة القائلة بان التراث الشعبي موضوع توثيق وتزين. وهذه المهمة الكبيرة ملقاة على عاتق العناصر الشبابية المستنيرة التي بدأت تتحرك اخيرا.

اخبار فنية من مركز الفن الشعبي

تصدر عن مركز الفن الشعبي منذ فترة نشرة اخبارية فنية تتناول النشاطات الفنية المسرحية والموسيقية والتشكيلية والشعبية وغيرها. وتأتي هذه النشرة سعيا نحو حل الفراغ القائم نتيجة غياب التغطية الاخبارية والمتابعة النقدية للنشاطات الفنية من قبل صحافتنا المحلية.

وتضمنت النشرة الاخيرة الصادرة في كانون اول تغطية شاملة لفعاليات مهرجان القدس الاول للمسرح الفلسطيني. ومقابلة مع فرقة سرية رام الله الاولى للفن الشعبي حول عرضها الذي قدمته مؤخرا (صور فلسطينية) وعرضها قيد الانجاز (اجنبية). ومجموعة اخرى من الاخبار. ويسرنا ان ننقل لكم بعضا من الاخبار المتضمنة في النشرة.

جماعة ناجي العلي تواصل نشاطاتها

استكمالا لنشاطاتها المتواصلة اعلنت جماعة ناجي العلي في الصحف المحلية عن اجراء مسابقة في الملصق (البوستر)، يتناول مواضيع الاحداث الراهنة ونضال الشعب الفلسطيني على مختلف الاصعدة. وستقيم الجماعة معرضا خاصا للمشاركين في المسابقة وستوزع الجوائز على الفائزين الخمسة الاوائل.

وتتهيأ جماعة ناجي العلي للمشاركة في مهرجان الفن التعبيري الذي يقام في القدس في مطلع هذا العام وستتولى الجماعة الاشراف على معرض الفن التشكيلي الذي سيكون ضمن فعاليات المهرجان.

حفلة موسيقية في باريس في يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني

تلبية لدعوة من مكتب اليونسكو في باريس وبمناسبة يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني وبتاريخ ١١/٢٩ اقامت السيدات ريما ترزي وتانيا ناصر وسامية غنوم حفلا غنائيا قدمن خلاله ستة اناشيد فلسطينية من كلمات والحان السيدة ريما الترزي.

وفي نفس الامسية شاركت فرقة حنين (وهي فرقة تشكلت حديثا من مجموعة من فتيات وشبان فلسطينيين في باريس) وقدمت فقرة دبكة شعبية فلسطينية.

وتقوم ناديا المالكي عضوة فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية سابقا بتدريب الفرقة.

وكان ضيف شرف الحفلة المغني وديع الصافي الذي قدم للجمهور بعضا من اغانيه من ضمنها اغنيته الجديدة عن الانتفاضة.

"الرقص الشعبي في المدارس الخاصة"

وجه مركز الفن الشعبي رسائل الى بعض المؤسسات الوطنية والمدارس الخاصة يدعوهم فيها الى تضمين مادة الرقص الشعبي في المناهج الدراسية او ضمن نشاطات لا منهجية والى اقامة نشاطات للرقص الشعبي في المؤسسات الشبابية التي تهتم بهذه المواضيع. وتأتي هذه المبادرة حسب ما ورد في الرسالة "في الوقت الذي اخذ فيه الرقص الشعبي الفلسطيني بالتلاشي وظهور انماط جديدة تحل مكانه بفعل تاثيرات خارجية وداخلية ترتبط اساسا بغياب الاداة الوطنية المسؤولة عن حماية تراثنا وفولوننا من الضياع والتلاشي" وسيتم التدريس في منطقتي رام الله والقدس.

Digitized by Birzeit University Library

اسوار القدس تحتضن المهرجان المسرحي الاول

خالد الفول

تحت شعار "الحياة مسرح... والمسرح حياة" اقيم مهرجان للمسرح الفلسطيني بادرت اليه رابطة المسرحيين الفلسطينيين تحت اسم "مهرجان القدس الاول للمسرح الفلسطيني". وذلك ابتداء من ١١/٢٧ وحتى ١٢/٢٣ وقد جاء هذا النشاط المميز للرابطة سعيا نحو تنشيط وتفعيل الحركة المسرحية، والتأكيد على ضرورة المسرح كجزء لا يتجزأ من الحياة الفلسطينية، والتعريف بالمسرحيين الفلسطينيين محليا وعربيا وعالميا، وخلق حالة مسرحية سنوية تتمثل في المهرجان وتشكل حافزا للمسرحيين من اجل العمل على تطوير قدراتهم الفنية، والدفع باتجاه اثارة المزيد من الاهتمام لدى الجمهور ولدى المؤسسات الوطنية بالحركة المسرحية الفلسطينية، واشاعة شكل من اشكال الاحتفالية التي يفتقد اليها شعبنا وخاصة في هذا الوقت بالذات. وشاركت في هذا المهرجان مجموعة من الفرق المسرحية التي كانت عاملة وتوقفت والتي ما زالت نشيطة وبرز خلاله عدد من الاسماء التي اثارت الانتباه والاعجاب وتميزت بحجم ونوع الاعمال التي قدمتها خصوصا الفنان كامل الباشا.

كان ليوم ١١/٢٧ طابع خاص ونكهة مميزة لدى المسرحيين الفلسطينيين وكان من الممكن ملاحظة ذلك على وجوه الفنانين الذين كانوا ينهمكون في الاعداد النهائي للافتتاح. وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر افتتح المهرجان بحضور جمهور قليل كانت مشاركتهم في الافتتاح تتطلب وجودهم اما لالقاء الكلمات او لسبب قسري آخر! وتلك مسألة تثير القلق والتساؤل: هل كان جديرا بهكذا مناسبة ان تلقى هذه الكثافة من الاهمال؟ ترى من المسؤول؟. اعتقد اننا قبل الاجابة يجب ان نضع واقع الحركة الثقافية الفلسطينية الوطنية والديمقراطية، والصحافة المحلية، والعلاقة بين السياسة والفن، وعلاقة حركة الواقع والاشياء بحركة النخبة واتجاهات سيرها واهتماماتها امام عيوننا لعلنا نخرج باجابات تشفي غليل المحروقين على الامور التي لم توضع في نصابها بعد.

شاركت في المهرجان ثلاث عشرة مسرحية معظمها كان قد عرض قبل اعوام الامر الذي يفتح مجالا لسؤال آخر عن الامور التي استدعت قيام المهرجان بهذا الالحاح وبهذه السرعة طالما اننا متفقون ان الحركة المسرحية الفلسطينية قائمة منذ زمن ولها جذورها، وان هذا المهرجان لم يكن زفة او حركة اعلامية لتبرير وجود الرابطة والحركة المسرحية.

كانت اولى المسرحيات في هذا المهرجان للاطفال قدمتها فرقة الجوال المقدسي وهي بعنوان "حبل الشر" وتحث على النشاط ومقاومة الكسل الذي ادى الى سيطرة الشر وضياع الارض من صاحبها الكسول.

وفي نفس اليوم عرضت مسرحية "موتى بلا قبور" لمسرح الورشة الفنية والقصة من تأليف جان بول سارتر. وشارك في هذه المسرحية مجموعة من الفنانين المقتدرين وبعضهم يمتلك الخبرة والكفاءة في الاخراج والتمثيل معا.

وتضم المجموعة وليد عبد السلام وكامل الباشا وجاكي ايوب وسهام غزالة ومايكل مسيس وخلف امير طه وجورج ابراهيم.

وتحكي المسرحية قصة مجموعة من رجال المقاومة الفرنسية الذين وقعوا في اسر قوات الاحتلال الالماني النازي وتكشف كيف يواجه افراد المقاومة هذا التحدي الكبير الذي يواجههم، فهم يقفون امام التجربة كمحك حقيقي لابراز مدى الاستعداد للتضحية والتفاني من اجل الدفاع عن الذات والجماعة امام محاولات اختراقها وتحطيمها جسدا وطموحات بمختلف آلات التعذيب واساليب البطش والتنكيل. فتبرز نماذج متنوعة استطاع مجسدوها ان يحققوا تفاعلا وجدانيا وتواصلا فكريا مع الجمهور الذي تلامست مشاعره وتجاربه ويومياته التي يعيشها بكل صدق مع حركة وتنامي الاحداث في المسرحية.

واستطاعت المسرحية ان تشكل حالة متميزة تقنع بانه يمكن ان يجمع المضمون العظيم والشكل الراقي في عمل فني واحد. الامر الذي تفتقر له تجارب فنية محلية كثيرة.

وفي ١١/٣٠ القى الاستاذ محمد البطراوي في مسرح القصبة محاضرة "المسرح في فلسطين قبل النكبة" تعرض فيها الى اشكال وتقاليد المسرح الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨ متطرقا الى الفرق التي نشطت خلال تلك الفترة. ثم تحدث عن الامكانيات المتوفرة لتطوير الحركة المسرحية.

وبعد المحاضرة قدم مسرح الرواة

Digitized by Birzeit University Library

الريش وقام بتمثيلها اسماعيل الدباغ. وقد خرجت هذه المسرحية عن الطابع الكلاسيكي حيث تم عرض ستة مشاهد يتم خلالها استعراض الظروف والاوضاع التي يواجهها (عز الدين) احد الزبالين الذين يعمل بين اسوار وازقة القدس القديمة.

وكعادته طلع علينا يعقوب اسماعيل بمسرحية لها شكلها وطابعها الخاص وتندرج ضمن السياق الذي يسير فيه هذا المخرج وهو النزوع نحو العبث والتجريبية. والمسرحية تحمل اسم (قضية المدعو "س") ويقوم بتمثيلها كامل الباشا وسهام غزالة. وتطرح مشكلة الوجود الانساني عبر شخصية المدعو "س" المأزومة بالتناقضات والصراعات النفسية والتي تجد في الانتحار وسيلة للخروج من هذا الواقع المقلوب الذي لم يعد واقفا على رجليه بعد الانهيار الشامل الذي اندثرت معه كل القيم والمثل التي يمكن العيش من اجل تحقيقها او في ثناياها.

ولقد اثارت هذه المسرحية عدة قضايا فنية وفكرية يمكن ان تشكل حافزا نحو التفكير في نقاش جدي ومستفيض حول فنية الاعمال الفنية وتواصلية الشكل الفني مع واقع وظروف وهواجس ومنطلقات التربة الخاصة التي نقف عليها.

وفي ١٢/٢ القى الاستاذ صبحي شحرور ي محاضرة حول" النقد بشكل عام والمسرح بشكل خاص"، فهمنا قبل القائها انه سيتناول خلالها المدارس النقدية المعاصرة في الادب والمسرح ويتعرض الى النقد المحلي ومستواه ودور النقد في اغناء الحركة المسرحية. غير ان المحاضرة كانت حول الشعر الغنائي والملحمة والدراما مع التركيز على الاخيرة. واسترسل المحاضر في الحديث عن قضايا لا تطرح واقع ومشكلات النقد المسرحي المحلي بقدر ما هي قضايا تهم المختصين بالنقد الادبي بشكل عام من جهة او بالدراما التي كان من الممكن تخصيص محاضرة حولها من جهة اخرى. كان من المتوقع الاجابة على تساؤلات من نوع:

لماذا غاب الناقد المسرحي الجاد والملم بكافة عناصر العمل المسرحي والذي يمكنه ان يتناول اي ظاهرة مسرحية بعمق ودراية ومنهجية؟ وما هي الاساليب الممكنة حتى يستمر نسج علاقة جيدة بين النقد المسرحي والمسرحيين تغني الحركة المسرحية وترفع من مستوى النقد، بل تخلق هذا النقد بمعناه الصحيح؟

بعد المحاضرة عرض على الفيديو مسرحية "ناطرين فرج" التي انتجها المسرح الشعبي/ سنابل عام ١٩٨٧ وكان "مجلس الرقابة على الافلام والمسرح" قد منعها من العرض بزعم (ان المسرحية تمس بأمن الدولة وذات طابع تحريضي ومضللة للرقابة) غير انه تم الافراج عنها بعد عدة جلسات مع الرقابة العسكرية. والمسرحية مأخوذة عن مسرحية وروزا البرت من جنوب افريقيا.

وفي ١٢/٤ القى الاستاذ علي الخليلي محاضرة في مسرح القصبة بعنوان "الصحافة المحلية والمسرح" وتعرض فيها الى الاهتمام الذي تبديه الصحافة المحلية بالحركة الفنية والثقافية واعمالها هذا الجانب وتركيزها على الخبر الصحفي السياسي الامر الذي يمكننا معه القول بانه لا توجد عمليا حركة اعلامية فنية فلسطينية. ويرى الاستاذ الخليلي بان كثافة الاعمال المسرحية كفيلة بفرض المسألة على الصحفيين وجذبهم الى المسرح. واشار الى غياب ليس الخبر المسرحي والمتابعة النقدية المسرحية فحسب بل والنص المسرحي ايضا وهي مسألة اخرى تستحق الدراسة في موقع آخر. وجرى نقاش مطول حول مسألة غياب الناقد المسرحي الجيد واتفق على اعتبار ان غياب هذا الناقد عائد الى واقع سيادة الفكر الاجتماعي المتخلف. وكاجراء عملي لحل هذه المشكلة طرح الفنان درويش ابو الريش اقتراحا يدعو الى اقامة دورة في الدراما يشارك فيها الصحفيون والمسرحيون معا. واقترح الاستاذ الخليلي ان يحدث لقاء موسع ومفتوح بين الصحفيين من كافة المؤسسات الصحفية والمسرحيين يتم فيه تناول هذه القضية بتفاصيلها للوصول الى علاقة افضل بين الطرفين.

وعلى خشبة المسرح للثقافة والفنون قدم الثنائي ابراهيم عليوات وفلتينا ابو عقصة من تأليفهما وتمثيلهما واخراجهما مسرحية "خربشة في محطة".

وقدمت فرقة الجوال المقدسي مونودراما "لازم أضوي" من تأليف وتمثيل صقر السلايمة واعداد واخراج حسام ابو عيشه. والمسرحية بسيطة في المعالجة غير متكلفة في الطرح وتشكل في مضمونها صرخة احتجاج وسط الظلمة وانبعاثا نحو النور لادراك الذات والكون المحيط.

وفي ١٢/٥ القى الاستاذ وسيم الكردي في مسرح القصبة محاضرة بعنوان "المسرح والتراث" اشار فيها الى ان "الاتجاه المعاصر من اجل صياغة هوية قومية اصيلة ورؤية متماسكة في الفكر والحياة يستدعي استيعاب المنجز التاريخي للشعب وخلق علائق اكثر حميمية لهذا الموروث وادراك كنهه، والاستجابة لما هو ملائم منه لصياغة وعي جديد يستند الى اساس تاريخي متصل الحلقات ومتواصل الحركة".

وبمنطق متوازن قال الكردي "لان المسرح ابداع على مستوى الفكر وابداع على مستوى الفن كغيره من الفنون فحري به وبالعاملين فيه اللجوء الى التراث، ومظاهره واشكاله واستيحائها في بناء اعمال فنية مسرحية تحقق لهذا المسرح هويته وتواصليته وقدرته على النفاذ الى عقل المتلقي ووجدانه من خلال تناول اشكال وظاهرات وتكوينات تراثية تدخل في تكوينه النفسي والثقافي".

وفي ١٢/٧ قدم طاقم فني شكله المسرح - للثقافة والفنون الفلسطينية

Digitized by Birzeit University Library

مسرحية انصار، وتستند هذه المسرحية الى تجربة واقعية خاضها احد خريجي ذلك المعسكر الرهيب حيث استطاع زهران "نضال الخطيب" وكفاح "اسماعيل الدباغ" ان ينقلا صورة صادقة عن الممارسات والوقائع التي تعرض لها الانسان الفلسطيني داخله، وكان المخرج فاتح عزام قد استفاد من طبيعة عمله في مؤسسة الحق فاعطى العمل طابعا توثيقيا وتسجيليا، ومن قدراته الفنية في فن البانتوميم فأعطى للحركة اهتماما كبيرا رفع من مستوى العمل واقنعنا بدور الحركة في العمل المسرحي اذا ما توفر الممثل القادر على اتقانها.

وفي مسرح القصبة جرى في ١٢/١١ لقاء بين المسرحيين والفنانين التشكيليين شارك فيه الفنانان كريم دباغ وسليمان منصور، كان متوقعا ان يخرج منه طرفا اللقاء بصيغة واضحة لعلاقة راسخة ولها اسس محددة، غير ان اللقاء تحول الى ساحة استعراض للكفاءة بين قطبي التنافر في الحركة التشكيلية. وبذلك فقد اللقاء جدواه خصوصا وان احد التشكيليين حضر دون استعداد وان عريف اللقاء لم يستطع ان يوجه الامور الى مسارها الصحيح الذي يمكنه تحقيق الهدف الذي تم اللقاء من اجله.

وقدم طاقم مكون من كامل الباشا وعماد متولي وايمان عون ودرويش ابو الريش مسرحية مأخوذة من قصة "القميص المسروق" للاديب الشهيد غسان كنفاني، وقبل ايمان عون كانت ريم اللو ضمن الطاقم الفني الذي تشكل خصيصا لانتاج هذا العمل.

وكانت فرقة حناظل المسرحية بقطاع غزة ضيفا عزيزا على قلوب الفنانين والمشاهدين من ابناء الضفة الفلسطينية والقدس، حيث استطاعت هذه الفرقة ان تخترق الحواجز باشكالها كافة واصرت على ان تتمرد على عوامل الركود وتغييب الوعي فقدمت مسرحية شعرية بعنوان "عرس عروة" من تأليف الشاعر عبد الحميد طقش ومن اخراج سعيد البيطار.

وفي ١٢/١٣ كان لقاء المسرحيين مع الموسيقيين. غير ان الموسيقيين لم يحضروا ولم تحدث سوى دردشة غير واضحة الاتجاه وعائمة حاول المسرحيون الذين التقوا مع انفسهم من خلالها ان يحددوا اطارا لعلاقة محددة قد تساهم في الاستغناء عن الموسيقى الجاهزة والمنتقاة دون دراسة، والمحشوة اعتباطا في معظم ان لم تكن في جميع الاعمال المسرحية المحلية، وكان واضحا خلال المناقشة عدم تبلور تصور واضح لدى المسرحيين حول طبيعة الموسيقى المصاحبة والمعزوفة على الالات الموسيقية او الاغاني الموافقة التي يمكنها ان تساهم في اضفاء الجو النفسي العام وابراز اللحظة الدرامية او الموقف الدرامي، وكانت هناك اشارات الى واقع عدم القدرة على الربط بين الموسيقى والتعبير عن الحالة العاطفية للممثل، وخرج النقاش بعدة نقاط تركزت حول واقع الاستمرار في التعامل مع الموسيقى كمؤثر ثانوي لدى المسرحيين المحليين، واحتمالات الخروج من هذا المأزق في اطار تكوين علاقة افضل بين الموسيقيين والمسرحيين، وتسهيلا لتنسيق العلاقة بين الطرفين اقترح سعيد البيطار من فرقة حناظل المسرحية في قطاع غزة ان يتم تشكيل رابطة للموسيقيين الى جانب رابطة المسرحيين.

وطرح الفنان كامل الباشا تساؤلا كبيرا حول امكانية انقاذ الممثل المحلي من حالة الاغتراب التي يحس بها في علاقته مع الموسيقى المستخدمة دون دقة والبعيدة عن حسه الشرقي الخاص والفلسطيني تحديدا، مشيرا الى امكانية استخدام موسيقى من تراثنا وحضارتنا تعبر عن تكويننا النفسي والثقافي تساهم في الانبعاث الصادق لما يكمن في اعماقنا خلال العمل المسرحي.

وفي ١٢/١٥ القى المخرج المسرحي وليد عبد السلام محاضرة بعنوان "مقومات اساسية في فهم العمل المسرحي" تميزت بانها تطرقت الى قضايا في صلب العمل والظاهرة المسرحية في حين تناولت المحاضرات الاخرى قضايا الصحافة والنقد والتأريخ المسرحي والتراث.

وقد طرح الفنان وليد عبد السلام عدة قضايا منها الركيزتين الاساسيتين في الظاهرة المسرحية هما الممثل والجمهور، واشار الى تحديد الجمهور الذي ستتوجه اليه في الاعمال المسرحية، وتحديد طبيعة الامور التي نود ايصالها الى هذا الجمهور ومن ثم الاسلوب الذي يجب اتباعه لايصال فكرتنا وطرح مفهوم العمل الجماعي في المسرح، وقضية ازمة النص والاقتباس ودور الجمهور والنقد في هذا المجال، ثم طرح مجموعة من الاقتراحات للخروج من مشاكل وازمات المسرح الفلسطيني على صعيد المسرحيين والجمهور، والصحافة والجامعات ...الخ. وقد دار نقاش حميم بين الحضور حول مجمل ما طرح في المحاضرة وكانت هذه المحاضرة بالفعل اكثرها حيوية وملامسة لهموم ومشاكل وامال وطموحات المسرحيين الفلسطينيين.

وعرضت مجموعة "ارابال" مسرحية بعنوان "غيرنيكا" وهذه المسرحية مستوحاة من اللوحة الرائعة التي ابدعها الفنان الاسباني بيكاسو، وقام بتأليفها الكاتب الاسباني فرناندو ارابال واراد من خلالها ان يقول وعلى لسان المخرج يان ويليامز "ان الجمال موجود دائما حتى في ثنايا الحرب" "وان المسرح حتى في حديثه عن الحرب يحدثنا عن الحياة". وتحكي المسرحية قصة امرأة وزوجها يحاولان تجسيد العلاقة الانسانية الحميمة بينهما رغما عن اهوال الحرب وقساوتها في ظل حكم الديكتاتور الاسباني فرانكو.

ومجموعة ارابال المشاركة في هذا العمل تتكون من ممثلين ينتمون الى فرق مسرحية مختلفة هم عامر خليل

Digitized by Birzeit University Library

وادوار معلم.

وفي اليومين الاخيرين قدم المسرح التعليمي مسرحية "مجلس العدل" من تأليف توفيق الحكيم وتتحدث عن العدل الذي يتوق اليه الانسان في ظل سيادة الظلم والاضطهاد.

كما قدم مسرح الرحالة مسرحية "الرجال لهم رؤوس" من تأليف الكاتب المصري محمود دياب، والمسرحية من اخراج يعقوب اسماعيل وتمثيل سهام غزالة ومحمود عوض وصقر السلايمة، وتأتي ضمن التميز لمسرح الرحالة الذي يحرص على "التجريب والغرابة والمفاجأة".

وبتاريخ ١٢/٢٣ اختتم المسرحيون مهرجانهم في حفلة "عائلية مسرحية" تم خلالها تكريم الفنانين والفرق المسرحية وكل الذين ساهموا في انجاح المهرجان وهكذا انتهى المهرجان بانجازاته واخطائه وبقيت الدروس والعبر لتدفع المسرحيين نحو الامام ومن اجل مهرجان مسرحي قادم افضل.

دورتان للرقص الشعبي واللياقة البدنية في مركز الفن الشعبي

بعد استكمال تجهيز قاعة الرقص الشعبي افتتح المركز دورة في اللياقة البدنية *Aerobics* خاصة بالنساء وصل عدد المشتركات فيها الى ٢٣ سيدة. ويقوم بالتدريب السيد مروان ترزي. وبتاريخ ١١/٢٩ سيقام حفل تختتم فيه دورة الرقص الشعبي ويتخرج منها ٥٠ طفلا وطفلة.

(موتى بلا قبور)

بين سارتر ومعين بسيسو

في عرض مسرحي متميز

علي الجريري

ضمن فعاليات مهرجان القدس للفنون المسرحية، قدم فريق الورشة الفنية عرضا مسرحيا متميزا اوائل كانون الثاني ١٩٩٠ على خشبة المسرح للثقافة والفنون في القدس.

المسرحية من تأليف الكاتب الفرنسي العالمي: جان بول سارتر ومن اعداد واخراج وتمثيل طاقم مسرحي فلسطيني، وهم: مازن غطاس، جورج ابراهيم، نبيل عازر، علي الحجاوي، سهام غزالة، كامل الباشا مايكل مسيس، وليد عبد السلام، جاكي ايوب، خلف اميرطه.

وقد استوعب العمل، عدة فنانين من عدة فرق وطاقات متنوعة ورغم ان هذه المسرحية عرضت اكثر من عشرين عرضا في القدس وحدها الا انها تظل مؤثرة ومتأثرة، بمستجدات الاحداث، حتى يخيل للمشاهدين الذين يحضرون عرضها لاول مرة انها من انتاج اعوام الانتفاضة، لما تطرحه مسألة التحقيق والاعتقال من معاناة وما تلح عليه من تعميم تجربة الصمود. ولهذا ظل عرض مسرحية موتى بلا قبور من الاعمال المتقدمة في المضمون والاداء والتمثيل، يستطيع المسرح الفلسطيني ان يفاخر به كاداء فلسطيني متميز جمع عالمية سارتر وخصوصية معين بسيسو.

عرض النص:

تحكي المسرحية قصة فلسفة المواجهة امام التحقيق، ابان الثورة كما طرحها سارتر، اذ تقع مجموعة من خمسة رفاق بينهما فتاة في ايدي البوليس ويساقون الى غرف التحقيق، ويكون حظهم ان يلتقوا معا قبل بداية التحقيق، فيدور الحوار والجدل بينهم حول اهمية المواجهة ليسلم الرفاق وتنتصر الثورة، ويتصادف ان يقع قائدهم في قبضة البوليس، فيقتادونه حيث يحتجز رفاقه، لكنه يخبرهم انهم لا يعرفونه، وانه وقع في ايديهم باسم مستعار، وان اعتراف اي واحد فيهم قد يعرض مجموعة مسلحة باكملها الى الوقوع في ايدي البوليس، او يتعرضون لهزيمة ساحقة. ويثير الحوار جدلا حادا حول فلسفة المواجهة، وحول اشكالات الصمود امام التعذيب او الاعتراف.

ويتخلل الحوار جملة من العظات من قبل هنري الذي يتقاسم وظيفة الارشاد مع رفيقته لورا ... الضرب يمكن تحمله، المسألة مرهونة باول كف، خيالهم قصير، لا تخف ...

المسرحية طرحت بشكل يتلاءم مع الواقع الفلسطيني في بعده الانساني العالمي، لدرجة لا يرى معها المشاهد العادي فلسفة سارتر ولغته، ولا صلف النازية في فرنسا

Digitized by Birzeit University Library

لتشابه ممارسات المحققين.

- في هذه المسرحية، شاهد الحضور محققين اسرائيليين في دور كل من جورج ابراهيم، وسهام غزالة.

الحركة الدرامية لدى الممثلين حسب الظهور

علي الحجاوي: في دور "الشرشوح" او الشرطي السجان، اظهر تجاوبا وتفاعلا تاما مع الموسيقى التصويرية، والتي ظهرت في المارش العسكري وحركاته الايمائية التي عبرت عن قوة في الاداء والتعبير.

جورج ابراهيم: في دور المحقق "كلوشيه" الذي تقاسم المشاهد مع الفنانة المتمكنة سهام غزالة: في دور المحققة لوسي، وقد اعتمدت المشاهد في اغلبها على الحركات التعبيرية اكثر من الحوار وكان حوار لوسي باللغة السليمة اوضح من الحوار باللغة المحكية وقد افرط مشهد التعذيب الحسي في المبالغة على خشبة المسرح فقد كان مرهقا ومتعبا للممثلين، حتى ان التعب ظهر واضحا على المحقق "كلوشيه" اكثر بكثير من تعب المعتقل هنري ورغم اطالة المشهد، فان المشهد لم يعكس حجم التعذيب الحقيقي وقد تميز دور لوسي في الرقص على جراح المعذبين، واعتقد ان مشهد الرقص الذي اداه الشرشوح والمحققة لوسي اثناء تعذيب المحقق "كلوشيه" للمعتقل هنري كان "فضلة" اعادنا من اجواء فلسطين ونشيد يا ظلام السجن لمعين بسيسو الى اجواء فرنسا ونص سارتر مما اخل في ميزان تطبيع النص المسرحي، دون ان يكون لهذا المشهد اية صلة بخصوصية الواقع او بانسانية النص.

كامل الباشا: في دور "سوربيه" مدير الحسابات يتداخل مع ميكل مسيس: في دور "فرانسوا" في نقد الرفاق لانهم لم يؤهلوا الرفاق لمثل هذا الموقف، وسط حكاية ذلك، الذي اطلق النار على راسه من التجنيد فوافق، لم يخبروه ان الثورة تحتاج الى ابطال، ويعترف انه ليس بطلا، ولم تعده الثورة ليكون بطلا.

انها تتحمل مسؤولية التقصير حتما، واذا به يخاف من الاعتراف وكيف يواجه الرفاق الذين سيلصقون به "مسبة الجبن" ويطلب منه هنري ان ينسى "سوربيه فمن العبث ان يلحق الانسان الالم بنفسه بينما يستطيع ان يتحمل الالام التي يفرضها عدوه عليه، وبعد عودة لورا شقيقته من التحقيق، يبعد نص الحوار الواقع، ليضعه في اطاره الاصلي، في رومانسية شديدة مفعمة بالالم. فنرى الممثلة القديرة جاكي ايوب التي تلعب دور "لورا" عشيقة قائد المجموعة، وشقيقة ورفيقة "فرانسوا ... التي لعبت دور الواعظ الاكثر اتزانا ووعيا تطالب بعدم التفكير في المآسي، تلح على "فرانسوا" بعدم ارهاق نفسه بالتفكير وتلعب دور المدللة لاخيها كما في مشهد "التهليلة الهادئة" في غناء متواصل. زمان لما كنا زغار كنت امسك ايدك واحمل همك.

وتعيش على امل ان يكمل "جان" الدرب وعندما يخرجون من العمل السري، وينادون الناس باسمائهم الحقيقية. وامام غيرة الممثل، خلف اميرطه في دور "جان" الذي يقطع اعتقاله حوار الممثلين (رفاقه) حول اهمية الصمود في التحقيق لانقاذ المجموعة المسلحة التي عليها انجاز مهمام ثورية ومصيرية، يتذكرهم باسمائهم الحقيقية، فيظن الرفاق، انهم خسروا المعركة، فقد انتهى كل شيء، غير انه يخبرهم انهم لا يعرفونه وانه قبض عليه باسم اخر، ومايزالون يبحثون عنه، تظهر غيرته على لورا فيحاول جان تسليم نفسه لانقاذها من التعذيب، غير ان هنري يمنعه طالبا منه الابتعاد عن الذات، وتغليب المسألة الوطنية، ويمنعه من الانهيار وتسليم رقاب الرفاق للقتلة. في اداء متميز للمثل وليد عبد السلام الذي لعب دور هنري، الذي يعمم التجربة

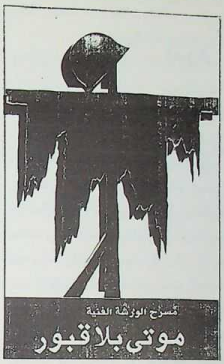

باردودة صيد خوفا من الاعتراف، وعندما يبدأ التحقيق مع "سوربيه" وهو اول من يفتتحون به التحقيق من المجموعة، ننتقل الى بحر غزة حيث نظير مع نشيد معين بسيسو ان تبدأ لورا ورفاقها بنشيد الشاعر الراحل "يا ظلام السجن خيم اننا نهوى الظلام ليس بعد الليل الا فجر مجد يتسامى. ويتعالى صوت المنشدين ليختفي صوت صراخ سوربيه، بينما تنقل الاغنية الحضور وتستحضر روح الشهيد معين بسيسو لتحل محل روح الكاتب الانساني العالمي جان بول سارتر كاتب النص.

ويعود سوربيه من جولة التحقيق منتصرا، ولكن صموده في الجولة الثانية تضعه في شك من قدراته فيضع حدا لحياته بالقفز من النافذة بعد ان يخدع المحققين متظاهرا بالضعف واستعداده للاعتراف، ليمض شهيدا حافظا معه اسرار الوطن والرفاق. ويشاهد رفيقه "فرنسوا" جثته كومة من العظم واللحم فيصاب بالذعر من مصرع رفيقه سوربيه.

فرانسوا هذا الشاب المنفعل، سمع ذات يوم ان الثورة بحاجة الى رجال، طلبوا منه

Digitized by Birzeit University Library

انتحقيق معهم، فقد فقدوا عنصر المفاجأة، فالضرب يمكن تحمله والمسدّة مرهونة باول كف، وكل شيء يحتمل لان خيالهم قصير والعنصر المهزوز يؤثر على شخصية الاخرين، وعلى المعتقل، ان يفكر باشياء اخرى غير التحقيق والتعذيب، كالحب والارض والمطر، والمعتقل بحاجة الى اعصاب، ويتبادل هنري مع لورا دور الواعظ المرشد والرفيق المساعد.

ويدخل هنري في نقطة الصراع المركزية، حين يأتي دور فرانسوا للتحقيق بعد ان اظهر فرانسوا ضعفا مخيفا، فيبدأ النقاش حول فلسفة سلامة الفرد او سلامة المجموع في العمل الثوري، وكي لا يكون هناك شك في وضع حد للتردد يقرر هنري منفردا قتل فرانسوا كي لا يعترف ويحاول جان منعه بينما تقف لورا صامتة دون موقف فلا تدافع عنه وتكون النتيجة مصرع فرانسوا ليعطي فرانسوا الحياة لجان والمجموعة، وتعبر لورا في حزن رومانسي عن ذلك بقولها: "فرانسوا حبيب اختك وقفت في الطريق ولم تستطع اكماله، هم الذين قتلوه بايدينا، ملامحه قاسية، سكر تمه وما حكاش." وهكذا تنتهي حياة فرانسوا الذي تعذب اكثر منهم جميعا لانه عاش عذابهم، كذلك مشهد تعذيب لورا عندما عادت عارية من غرفة التحقيق، غير انها، تردع خيال فرانسوا عن الذهاب بعيدا، فعذابها لم يكن عذابا، وهي لا ترى في انتهاك عرضها من اعدائها انتهاكا للعرض، وان انتهاك عرضها الحقيقي هو في تخاذل فرانسوا، فاذا صمد فرانسوا، صانت عرضها، واعترافه فقط يعني انها فقدت عرضها، وفي عذاب الجسد راحة الضمير وهي تعبير عن تجليات سارتر الفلسفية واذا كان لا بد من الموت فالافضل الموت بين ايدي المحققين.

بخروج فرانسوا من دائرة التحقيق الى دائرة العدمية شهيدا بايدي رفاقه يخرج جان حرا باكيا متألما في اداء تمثيلي رائع ومؤثر يذكر بخروج "اوديبس" وقد امتلأت عيناه بالنار.

لغة المسرحية

كان الاداء بلغة سليمة اكثر تاثيرا واوضح تعبيرا، غير ان لغة الحوار كانت باللغتين "السليمة" والمحكية، وقد تميزت اللغة السليمة باداء النص في بلاغة متفوقة امتنعت على اللغة المحكية، وطرحت عبارات اللغة السليمة في سياق جمالي وفق نص سليم محكم نحو: الشهداء لايتركون فراغا خلفهم ... هذه العبارة تختلف عن عبارة العالم بقي مثل ما هو كالبيضة، وحوار "لوسي" باللغة السليمة كان اوضح واكثر تعبيرا منه باللغة المحكية. وقد لوحظ ان لغة الحوار بالعامية، بصوت عال عرض النص مع سرعة الاداء الى ابتلاع الكلام، فبدأ غير واضح كما عند فرانسوا في عدد من المشاهد، وكان على معد المسرحية ان يتعامل مع تطبيع النص والاصل المترجم فيغير بعض الاسماء والاماكن كما في منلوج لورا: "والشمس ستشرق حتما على اودية وتلال فلسطين مثلما اشرقت على غابات فرنسا"، لكانت الاستجابة للواقع اكثر من ترجمة العبارة او نقل الترجمة كما هي في اصل النص.

صحيح ان نص سارتر كان يختفي في العديد من المشاهد ولكن اسماء المناطق كانت تعيدنا الى اجواء النص الاصلي ومع ذلك كشفت المسرحية عن اصالة الابداع الادبي لسارتر نفسه ككاتب انساني عالمي، هم ايضا يشعرون بالخوف والرعب من مستقبلهم كيف لا يكون ذلك وهم ينظرون الى صنيع ايديهم

ومرة اخرى يثبت المسرح الفلسطيني قدرته على التعامل مع المعادلات اللغوية وتوظيف النص كما في المقارنة بين الموت خجلا او الموت عارا بالاعتراف، فالخجل لا يدوم، والخيانة تلاحق الخونة الى الممات.

"الرجال لهم رؤوس"
هتشكوك عربي يزور القدس بملامح غربية

سمير رنتيسي

ضمن فعاليات مهرجان القدس الاول للمسرح الفلسطيني عرض "مسرح الرحالة" مسرحية "الرجال لهم رؤوس وهي من تأليف "محمود دياب" واعداد واخراج يعقوب اسماعيل وتمثيل كل من سهام غزالة في دور "الزوجة" ، "محمود عوض" في دور "رجل المسرحية" "وصقر السلايمة" في دور "كيمو".

لعلني في بداية تفحصي لهذا العمل اود ان اشير الى أن طيف "هيتشكوك" ظل يلاحقني طوال مشاهدتي للعرض الا ان معالمه - للاسف - والتي اعدها لنا المخرج "يعقوب اسماعيل" لم تأت واضحة بل مشوهة، مبتورة وبما يثير في نفوسنا الملل والاستياء، لاشك ان البداية لم تكن موفقة وقد اثارت في المشاهد نوعا من الردة الداخلية التي جعلته يفقد من وتيرة حماسته للتواصل مع حبكة المسرحية حتى نهايتها، اذ ان تكرار "سهام غزالة" لحركتها المملة البطيئة والصاق الشمعات على الصناديق اضافة الى استمرار "محمود

Digitized by Birzeit University Library

عوض" بادارة عجلة الدولاب لفترة طويلة قاد المشاهد الى الانطباع بأن ثمة افتعال في المشهد، فالرسالة التي يبتغي المخرج "يعقوب اسماعيل" ايصالها الى المشاهد كانت قد وصلت مع الالحان والكلمات الاولى التي تفوه بها جريس بصير ومع اشمال "سهام" لاول شمعتين ومع ادارة "محمود عوض" لعجلة الدولاب اول عشر دورات ولم يكن ثمة داعي لتواصل وتكرار هذا المشهد الممل لما يزيد عن دقيقة واحدة - اللهم الا اذا لم يكن هناك مادة كافية من الحدث والحوار المسرحيين مما اضطر المخرج الى اطالة امد المشهد وتكراره كي يملأ فراغ الوقت المحدد ..! ولعل هذا الانطباع الذي

ورغم الامل بان هذا النمط لن يتكرر وقد يختفي بعد انتهاء المشهد الافتتاحي الا انه عاد يطل برأسه مجددا في المشاهد التي تلت، اذ ليس من الواقعي والمعقول ان يثير اختفاء "ورقة الولد" من اوراق اللعب كل هذه المشادة العائلية الطويلة والمملة بين الزوج وزوجته - خاصة اننا نفهم من سياق الحوار المسرحي ان الزوج متعلم ومثقف ويعمل كموظف في احدى الشركات - وتتكرر هذه المشاهدة مرارا وتأخذ من وقت المشاهد أكثر بكثير مما تستحقه قبل ان تقوده الى الجدال الامم كما نفهم، اي هذا الذي ينشب نتيجة استياء الزوجة من انعدام طموح زوجها واتصافه بالخوف والجبن امام

انعكس في ذهن المشاهد هو السبب من وراء هذه الردة الداخلية السريعة التي تولدت واستقرت داخل المشاهد وتواصلت معه في سياق المشاهد التي تلت ...!

رؤسائه في العمل.

ثم يأتينا مشهد حضور الجثة - الهدية الى منزل الزوجين ويثير فينا الاستغراب امام عجز الزوجة على التفكير

للتخلص من الجثة - خاصة واننا نفهم من سياق الحوار سابقا انها الزوجة الطموحة .. الذكية ... الفصيحة التي بمستطاعها ادراك وتدبير الامور هذا اذا لم ننوه الى عمق التناقض الواقع هنا حيث ان عجز الزوجة هذا لا يتوافق مع لومها زوجها الذي سبقه بلحظات واتهامها له بعدم التفكير !! وسرعان ما يتلقى المشاهد خيبة امل اخرى حينما يرى "سهام غزالة" تفقد صوابها تقريبا وتملأ المسرح صراخا ونواحا وبكاء امام الاغماء العابر لزوجها "محمود عوض" والذي وقع بسبب مشادته للجثة بينما تتصرف ببرود يكاد يكون شبه كامل حينما يفتح الصندوق وترى امامها "جثة دون رأس" ...! بالله عليك يا يعقوب هل هكذا يكون رد فعل زوجة ترى في صدر منزلها وامام ناظريها "جثة دون رأس" ؟! مجرد تكشيرة فقط كما يقولون ...؟!.

ونأتي الى الفكرة الرئيسية التي يود المخرج ايصالها وهي ان الناس او معظمهم لا يفكرون - ولا يستخدمون عقولهم، وهي فكرة رائعة حقا الا ان هذه الفكرة ليست بحاجة لكل هذه الحبكة المملة ... الطويلة كي يتم ايصالها للمشاهد - اللهم الا اذا استخف المخرج بذكاء المشاهدين وهو ما اعتبره اهانة لا تغتفر ... ! كذلك ثمة غموض مفتعل وغير مكتمل في دور "كيمو" الجار الذي يحضر الى "الزوج" من عتبة باب منزله هدية ثانية هي رأس الجثة المخفي في صندوق والذي يوحي لنا انه وجده بمحض الصدفة اثناء دخوله للمنزل، الا ان هذا الايحاء بالبراءة سرعان ما يقودنا الى مسالك الغموض والشك من خلال ايحاءاته المتكررة لاحقا والتي تفتقد الى التدبير في ذهن المشاهد والتي يعلمنا من خلاله انه يعلم بوجود جثة في المنزل بل وربما له ضلع بارسالها الى الزوج ...

كلمة اخيرة فيما يتعلق باداء الممثلين ... لاشك ان الممثل "محمود عوض" رغم هنا

Digitized by Birzeit University Library

اظهر ابداعا لا بأس به في التفاعل مع دور الزوج الفاقد لاسباب الطموح - لكنني لازلت على مأخذ منه فيما يتعلق بعدم اظهاره لسرعة بداهته التي اعتدناها فيه وذلك حينما دخلت قطة بمحض الصدفة الى خشبة المسرح، ان ان تفاعله مع تلك الواقعة كان بامكانه انتشال المشاهد من حفرة الملل التي وقع بها اثناء العرض وكان بامكانه اضفاء نوع من الاثارة الى السياق المسرحي ... اما ممثلتنا الشهيرة "سهام غزالة" فأنا عاتب عليها حقا في ادائها، اذ انها لم تستطع الخروج من "سهام" الاعمال المسرحية السابقة والاندماج في "سهام" الدور الجديد - اي "سهام" - الرجال لهم رؤوس ولعل هذا كان احد المنفصلات الاضافية التي اثارت الاستياء في نفس المشاهد!! اليس كذلك يا سهام؟!.

> "مجلس العدل" كوميديا ساخرة تنم عن مواهب ابداعية مثيرة

حينما تقرأ الكلمات الممهدة لهذا العمل يخال اليك انك على وشك حضور مسرح تراجيدي جاد يستلزم منك اعداد "المزاج المناسب" لتقبله، لكنك حينما يستقر بك المكان الى ذلك المقعد الذي يفتقد حتى الى مسند للظهر، فانك تتناسى كل المنغصات الخارجية والداخلية وتغيب على مدى ساعة كاملة داخل تلك الثلاثية الفكاهية الساخرة التي تحكم القبض على انتباهك ولا تطلق سراحه حتى تنسدل الستار عن هذا العمل الذي يستحق الثناء بكل حق...!

هذا هو "مجلس العدل" الذي تقوم عليه الثلاثية الفكاهية "حسام جويلس"، "جلال الدويك" و "عدنان ابو سنينة"، وللحقيقة فان جلال الدويك يظهر من خلال هذا العمل ابداعية مميزة في فن الكوميديا الساخرة لا تقل ان لم تقل تضاهي مشاهير الكوميديين المعروفين في عالمنا العربي - خاصة الكوميدي السوري الابداعي الشهير "زياد مولوي" فهو من خلال ادائه يذكرنا بذلك الابداعي، لكن ليس من باب التقليد او الاقتباس، بل من باب القدرة على الخروج "بزياد مولوي"، بمقاييس ابداعية فلسطينية ... خاصة وجديدة ...

كذلك يبرز في هذا العمل الفنان "عدنان ابو سنينة" الذي يقوم بادوار عدة وفق سياق النص المسرحي، لكنه بلا شك يقترب من الابداع الحقيقي في دوره الاخير حينما يقوم بتمثيل دور "الزوج" المتزمت المتعصب الذي تثور ثائرته لاي نظرة او تلميحة تجاه زوجته، ولعل بعض المآخذ الذي يمكن حسبانها على هذا العمل هو غياب الفكرة الرئيسية احيانا ضمن اداء الممثلين ... اذ ان كثيرا ما يجد المشاهد نفسه يندمج بالكامل في مظاهر الاداء الفردي للممثلين (خاصة جلال الدويك) فتغيب عن ذهنه الفكرة الرئيسية التي يود المخرج ايصالها، وثمة مأخذ آخر على اداء الممثل "حسام جويلس" الذي قام بأداء دور القاضي حيث انه لم يتفاعل بشكل جاد مع هذه الشخصية وظل يترواح بين تصنع متعمد احيانا ومبالغة مفتعلة احيانا اخرى في ادائه لدور "القاضي الفاسد" اما المآخذ الاخير الذي لا بد من ذكره فهو التناقض الفاضح بين ادداء الممثلين "جلال الدويك" و "عدنان ابو سنينه" في محاولتهما الجادة في رسم معالم فن كوميدي فلسطيني ساخر وبين اقتباس طاقم العمل للحن موسيقي، كقاطع بين المشاهد يرتبط في ذهن المشاهد بمسلسل "شوفوا الناس" السوري الذي يطالعهم عدة مرات في الاسبوع على الشاشة الصغيرة، اذ ان العمل كان بالامكان ان يكون اكثر توفيقا فيما لو تم اعتماد موسيقى لا ترتبط بذهن المشاهد باقتباس محدد ...!.

رغم ذلك كله ... لا بد من الثناء بشكل خاص على المواهب الابداعية المميزة التي ابداها طاقم العمل خاصة الممثلان "جلال الدويك" و "عدنان ابو سنينة" والى الامام ...!!.

اصدارات جديدة لاتحاد الكتاب الفلسطينيين

اناشيد البرق والاطفال والحجارة

- مجموعة شعرية للشاعر د. جمال سلمع تقع في ثمانين صفحة من القطع الصغير، تجمع تسع قصائد من وحي الانتفاضة، دارت حول الحجارة والاناشيد والشهيد، في خطابية واضحة ورومانسية واقعية، وهي العمل الادبي الرابع للكاتب.

انصار، شاهد على الجريمة

- مجموعة شهادات وخواطر ادبية واقعية، من تجارب المعتقلين الفلسطينيين، تقع في ١٦٣ صفحة من القطع المتوسط تشكل في حد ذاتها وثائق ادانة للممارسات المتنوعة ضد كرامة المعتقلين وانسانية الانسان، وهي العمل الاول للكاتب.

ثلاث ناقص واحد

- مجموعة قصصية للكاتب سامي الكيلاني، يعود بعضها الى عام ٨٢ وبعضها الى اعوام الانتفاضة، كتب عددا منها اثناء اعتقاله داخل معتقل انصار ٣، وتقع المجموعة في ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط وتضم المجموعة ٢٣ قصة قصيرة، وهي العمل القصصي الثاني للكاتب.

جاي معك

- مجموعة قصصية للكاتب جمال القواسمي، تقع في ١٣٩ صفحة من القطع المتوسط، تضم ست قصص قصيرة بعضها على شكل لوحات كتبت عام ١٩٨٩م، وهي العمل الاول للكاتب.

Digitized by Birzeit University Library

ليالي الحلمية

أغنية للوطن .. وأغنية للشجن .. واغنية للجراح!

ماجدة موريس
مصر

لقد اعرب شاب مؤخرا، في ندوة اقيمت حول مسلسل (ليالي الحلمية) ان هذه الجماهيرية الكاسحة للمسلسل في حقيقتها جماهيرية "حزب سياسي" وجدت في العمل تعبيرا عن وجهة نظرها فأحست انه عبر عنها، وهكذا انضمت له، وأيدته. وبغض النظر عن التبسيط الشديد للامور في تلك الكلمات الا انها تحمل وجهة نظر لها قيمتها، كما أنها تفسر ذلك العداء الرهيب للمسلسل، بعد ان انتهى عرضه وليس اثناء العرض، وتصاعد العداء في حملة شرسة تستعين بكل الاوراق من أجل الهجوم عليه - سياسيا وليس فنيا.

في مسلسل ليالي الحلمية بدت المسيرة السياسية للوطن في المقدمة موازية للمسيرة الاجتماعية احيانا، ومتقدمة عنها احيانا اخرى، وظل الاثنان متساندين طوال الاجزاء الثلاثة للمسلسل الذي بدأ منذ الثلاثينات ايضا، متخذا الطبقات العليا وكواليس الفئات المرتبطة بالملك والانجليز مرتكزا له من خلال عائلة الباشا سليم البدري، وزوجته سليلة الحسب والنسب التركي نازك هانم السلحدار. ومن خلال مصنع النسيج الذي يملكه الباشا في حي الحلمية ينفذ المسلسل الى عالم الطبقات الشعبية مقدما نماذج مختلفة لها كالعمال والتجار والحرفيين وصاحب القهوة والعطار. ويبدا الصراع بين العالمين على ساحات الحب والواجب والجنس معا، مع محاور ترتبط بينهما، فالباشا المزهو بنفسه تفتنه فتاة شعبية فلا ينالها الا بالزواج ويكون مبرره هو انجاب الولد الذي حرم منه، لكن زوجته تنجب في نفس الوقت فيكون عليه ان يرتد لطبقته سريعا بعد انتهاء النزوة وهذا الشاب طه السماحي الذي رأي في الانضمام للفدائيين لطرد الانجليز من مصر الهدف الوحيد لحياته، يلتقي (بنجاة) التي لم تمنعها بنوتها لرئيس البوليس السياسي للملك من الانخراط مع الجانب الاخر. اما زينهم السماحي صاحب قهوة الحلمية، فقد كانت قهوته معادلا شعبيا لنوادي الباشاوات وملتقى الاحداث واحيانا ما

الشرارة التي تفجر الاحداث، ولم يترك المؤلف قطاعا هاما من عمق مصر هو ريفها بحكم كونه من ابناء المدن - دون أن يتعرض له، ومن هنا اختار عمدة (كفر ابو غانم) ليدخل المشاهد من خلاله الى الريف، وليدخل الريف الى المدينة، فالعمدة "سليمان غانم" تجاوز ارضه ارض الباشا سليم، ويتبادل الاثنان بيع وشراء اراض بعضهما البعض مع اختلاف تأثير هذا الفعل عليهما، فهو لدى العمدة له اثر الفضيحة حيث التفريط في الارض كالتفريط في العرض تماما في ذلك الزمان، ومن هنا يندفع العمدة وقد شعر بانه غرر به الى منازلة غريمه في عقر داره، فينزح الى المدينة، يستكمل صفات المنازلة بالابهة السياسية (أي نزول الانتخابات معتمدا على عصبيته وعلى اولاد البلد الذي يجيد مخاطبتهم) ثم بالابهة الاجتماعية حيث يشتري لقب الباشا، وتحلو في عيونه المدينة بكل مذاقها الصاخب المتدفق فيه فتنبت طموحات اخرى تشغله عن الريف تماما، ويتعلم السلوك التآمري. ليواجه من أصبحت معركته معه هي حياته وهو سليم باشا، ويمتد هذا الى المحرمات وما لا يتفق منها مع تقاليد الريف، مثل الزواج من زوجة غريمه، في احدى مرات انفصالهما، ويكتشف ان العروس اكثر تآمرا من زوجها السابق ومن هنا تنشأ علاقة فريدة بين ثلاثتهم، سليم وسليمان ونازك ظاهرها اجتماعي وباطنها صراع على النفوذ السياسي والقوة حتى نهاية الجزء الثالث من المسلسل. وسوف يلاحظ القارىء انه حتى نهاية الجزء الثاني بعد قيام ثورة يوليو، لم يحظ العمل بأية هجوم بل العكس فقد كانت المطالبة بالجزء الثالث كأنها مطلب شعبي اجماعي بلا معترض واحد".

ولقد استمر الثلاثة الكبار في المسلسل حتى نهاية السبعينات (أي نهاية الجزء الثالث) وهم باقون يزدادون قوة وجنونا،

Digitized by Birzeit University Library

ليالي الحلمية: الباشا سليم ونازك هانم في لحظة رومانسية

بفضل السمسرة وشراء وبيع الاراضي وتهريب الاموال اما المرأة فيقل نصيبها بفعل نزواتها التي تنبعث من احساسها بعدم الامان بعيدا عن (ظل رجل).

وفي ظل الجيل القديم للمسلسل، نما جيل جديد من صلبه، ابنا سليم، عادل بن نازك، وعلي بن علية، وزهرة بنت سليمان ونازك، وكذلك نبتت اجيال جديدة لكل الشخصيات الاخرى في المسلسل، قمر بنت زينهم وسماسم، ناجي بن طه السماحي وفاتن بنت زكريا، وتشعبت افرع عديدة في شجرة الحلمية حمل كل منها علاقات ومصائر احد شخصيات العمل او فروعه، وكما امتدت فروع وطال بعضها بلا مبرر درامي، مثل شخصية بدوي والد انيسة الذي استمر لاسباب تراثية وليقول جملة واحدة كالتعويذة (سبحان الله ولا اله الا الله)، فان هناك فروعا سقطت بلا مبرر ايضا مثل سماسم العالمة سابقا، والزوجة والام الفاضلة لزينهم السماحي وابنتهما قمر، ولم يكن موتها ليمثل !! تكريسا لاخلاقيات متخلفة ترى فيها تذكيرا بماض تركته بلا رجعة فهل كان لا بد لها ان تموت في وقت ازدهرت فيه، عمليا - حمدية رببيتها كراقصة من جديد.. وهو ما يعني تكريس العمل لنفس ما يرفضه من خلال الشخصيات المحيطة بسماسم والتي رأتها تظلم مرارا بيد زينهم؟ وايضا سقط نموذج اصيل هو توفيق البدري ابن عم سليم وزوج انيسة وكان رجلا شعبيا وان انتمى لاصول ارستقراطية، صورة اقرب للموظف المثقف ذى الضمير الذي لا يحيد عنه. وبرغم كثرة شخصيات الحلمية الا ان العمل افتقد شخصيات هامة، مثل شخصية المناضل الموازى لطه السماحي، لكن في عصر ثورة يوليو، سواء كان يساريا منذ ما قبل الثورة، او خارجا من الاصول الشعبية التي حملت على دفعة ضخمة بعد الثورة، كذلك فانه على كثرة ما رصد من مواقف واحداث، افتقد ايضا، ضمن شخصياته الهامة المعادل لشخصية على البدري التي انهارت الى النقيض، وهو المعادل الذي يمثل ملايين ممن حصلوا على حقوق في ذلك العصر، ونهلوا من ازدهار ثقافة الستينات، واصبحوا قوام ذلك الجيش العصري الذي هزم وحارب وذهب لتنمية العالم العربي... نقص المسلسل ايضا التعبير عن ذلك الانطلاق للمرأة المصرية بعد الثورة، حيث لم يشر اليه الا

Digitized by Birzeit University Library

اشارة متبسرة على لسان (اصلاح) بنت ابو شعيشع، جليسة المنزل! مع انه كان العصر الذهبي الذي ركز على مساواة المرأة وحقوق التعليم والعمل.. وكان من الملاحظ هو غلبة النماذج النسائية المأزومة والمحبطة والبعيدة عن التأثير الحقيقي من نازك الى سماسم الى رقية الى زهرة الى حمدية الى فاتن الى قمر الى اصلاح وباستثناء انيسة السلوك الانساني الواقعي الى سلوك النماذج غير الواقعية، الغربية من نماذج المسلسلات الامريكية، وهو سلوك يكفل جاذبية للشخصية الدرامية، وبالتالي للعمل ككل، لكنه لا يعدو ان يكون خروجا على نسيج العمل الاصلي، من امثلة هذا سلوك نازك السلحدار السيدة ذو الطبع الرجالي، تتزوج وتطلق وتغوى وتجمع بين الجميع دائما.. من حقهم دراميا، وخاصة سليمان غانم في الجزء الثالث الذي امتلك فيه مساحات واسعة من اللقطات والمشاهد استخدم بعضها فقط في سب حرسه وحرمه حتى بدأ احيانا كشخصية هزلية كاريكاتورية، ومن الواضح ان هذا الميل لدى بعض الشخصيات قد جار على شخصيات اخرى، هامة، لم تتح لها الفرصة جيدا للتعبير عن مسيرتها مثل

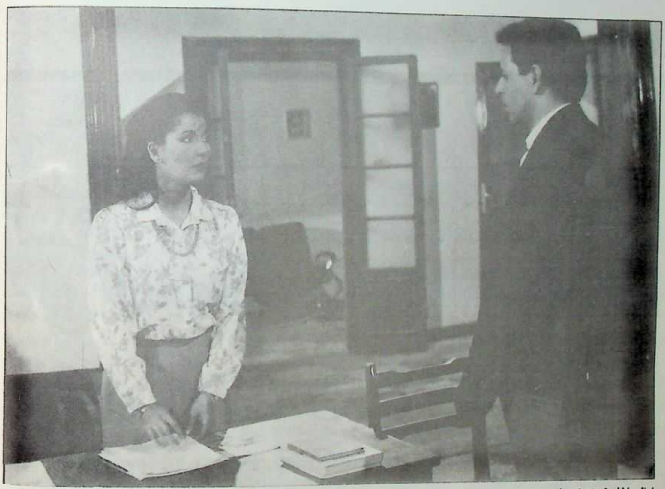

ليالي الحلمية: زهرة وعلي ومراجهة

ووصيفة فقد غلبت الشخصية النسائية عامة، قدر كبير من عدم الوضوح بالرغم من انفلات المؤلف من قبضة واغراء الشخصيات الاحادية الجانب الى الشخصيات المركبة المليئة بعناصر الصراع والتناقض وهو تطور ناضج في رسم الشخصية الدرامية واعطائها ما يناسبها من حوار (لا ما يناسب المؤلف)، الا ان هذا التقدم نحو الشخصية المركبة اخذ طابع المبالغة في احيان عديدة بما يتجاوز نموذج استثنائي جدا هنا.. وقد يكون معتادا في بلاد اخرى، ايضا العمدة سليمان غانم، الذي يغير افكاره ومبادئه كما يغير، ويتحول من النقيض للنقيض ومن الفعل لفعل آخر، ولعل سليم البدري اقل الثلاثي الكبير تناقضا واكثرهم عناية باتساق سلوكه مع معطيات شخصيته ومن المؤكد ان المؤلف قد وقع في اسر ثلاثيته الاثيرة سليم وسليمان ونازك، وانه [illegible] شاهين وزكريا ووصيفه لكننا في النهاية لا بد وأن نحي قدرة المؤلف الهائلة على تتبع كل هذه الشخصيات بما تمثله من شخصيات حية متدفقة خرجت من عباءة الدراما لتمتزج بحياة الملايين الواقعية وتعبر عن آلامهم وآمالهم وأفعالهم، خاصة فيما يتعلق بتلك الاحداث والوقفات الهامة في حياة الوطن والجموع.. وهي التي أثارت الهجوم

Digitized by Birzeit University Library

ن "مناخ اللحظة" السياسية والتاريخية وبالتالي اعادتها لمواقف البعض حية في الاذهان سواء كانت مواقف مشرفة او غير ذلك.. ومع ان المسلسل وجه نقد حادا لثورة يوليو وممارساتها السياسية وتنظيماتها الا انه استطاع ان يبرز ذلك الاطار العام الذي قدم فيه والذي مثل سنوات حقيقية عاشها المجتمع بين الامال والتجربة والصواب والخطأ، ومع انه لم يرصد كل الايجابيات،

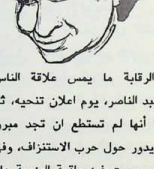

وحذفت الرقابة ما يمس علاقة الناس بالزعيم عبد الناصر، يوم اعلان تنحيه، ثم وفاته، الا أنها لم تستطع ان تجد مبررا لحذف ما يدور حول حرب الاستنزاف، وفي الوقت الذي مررت فيه واقعة الهزيمة عام ١٩٦٧ منعت تفسير المؤلف حول دور الجيش وقائده عبد الحكيم عامر في النكسة، وفي الوقت الذي تركت فيه وجه الصحافة الانتهازي من خلال ممارسات مدير التحرير (عمر) منعت فيه - في نفس المرحلة - ما يظهر القيود على حرية الصحافة ومنع الحقائق عن الناس، بل ان ما حدث في لحظة تاريخية اخرى اوردها المسلسل هو تجاوز لكل الاعراف الرقابية..

عندما تضيف الرقابة في الحلقة السابعة والعشرين من المسلسل كان الحدث قد وصل الى مبادرة السادات بزيارة اسرائيل، وكان المؤلف قد طلب ان يتضمن السيناريو لقطات لوصول السادات لمطار بن جوريون من ارشيف الوثائق السياسية بالتلفزيون، وعليه بنى ردود افعال ابطاله الذين فاجأهم الحدث كما فاجأ العالم كله.. ولكنه فوجيء، هو والمخرج اسماعيل عبد الحافظ بأن اللقطات المطلوب اضافتها قد طالت ليتم اضافة اجزاء من خطاب الرئيس السادات في الكنيست وهو ما لم يطلبه المؤلف ولا المخرج. ثم حذفت الرقابة ردود افعال ابطال المسلسل، ثمانية لقطات متتابعة ولا يعدو هذا الا ان يكون تدخلا في تأليف العمل من جهة اوكل اليها فقط مراقبته من اجل البحث عما يمس قيم المجتمع او شرفه... وهي السابقة الاولى التي تتدخل فيها رقابة التلفزيون بالاضافة بلا حياء، وكأنما تفرض وجهة نظر معينة على عمل درامي، مع انها تملك، بحكم تبعيتها لسلطة البت في امور التلفزيون عرض ما يواجه فكر هذا العمل مائة مرة والف انا شاءت، وهو ما يحدث فعلا منذ سنوات طويلة من خلال التلفزيون حيث تغيب سنوات من عمر هذا الوطن من مجرد الذكر وليس الطرح والمناقشة والمصارحة، ولعل اهم ما فعلته (ليالي الحلمية) هو فتحها لهذا الباب الموصود تماما امام المشاهد، باب السنوات القريبة الذي ما زال حيا يتجدد كل يوم مع ممارسات الثمانينات ومطلع التسعينات حيث تنتعش الازمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فتمسك بخناق الجميع فهل كان السبب هو عبد الناصر.. وسنوات ثورة يوليو الاولى؟ من الطريف ان افراد الكتيبة المنظمة من العازفين لهذه النغمة يقومون بجهود خارقة للعزف مع ان الامر لا يستحق كل هذا الجهد لو كان قولهم صحيحا... ومع ان سنوات طويلة من البث المنظم عن طريق التلفزيون والاذاعة ووسائل النشر كانت تكفي لمحو اي تجربة من عقول الناس وقلوبهم.. لو كانت فقط كما يصورون.. وليس هذا الكلام دفاعا عن ثورة يوليو وانما عن حق اي من ابناء هذا الوطن في طرح رؤيته وفكره وابداعه بدون ان يخرج له من يطالب بدمه فها هو التلفزيون موجود لمن يود وها هي الجماهير تنتظر اي اغنية تثير لديها الشجن.. وتثير حب الوطن.. لكن السؤال هو من الذي يستطيع؟.

"عن اليسار المصرية"

يحيى الفخراني

من دور باشا

الى ملك سابق

رغم ان دوره في فيلم "الصرخة" لا يتعدى دقائق قليلة، فقد حقق يحيى الفخراني نجاحا كبيرا وصفق كل العاملين في الاستديو له وتوقع نجاحا كبيرا للفيلم المذكور وهو من بطولة نور الشريف ومعالي زايد اخراج محمد النجار.

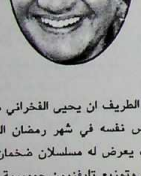

الطريف ان يحيى الفخراني سوف ينافس نفسه في شهر رمضان المقبل حيث يعرض له مسلسلان ضخمان من انتاج وتوزيع تليفزيون جمهورية مصر العربية، المسلسل الاول الجزء الرابع والاخير من الحلقات الضخة "ليالي الحلمية" قصة اسامة انور عكاشة اخراج اسماعيل عبد الحافظ والمسلسل الثاني "قصة ملك سابق" عن ملك مصر الراحل فاروق وذلك في ١٥ حلقة تلفزيونية للكاتبة لطيفة احمد سالم سيناريو وحوار اسامة عكاشة اخراج: يحيى العلمي.

Digitized by Birzeit University Library

شيء ... للتحدي!..

يعقوب الاطرش
بيت ساحور

ما ان انتهوا من تشطيب كافة محتويات مشغل خشب الزيتون بكل ما فيه من ماكنات وعدد ومواد.. حتى تلفتوا يبحثون عن فريسة جديدة!

كان يفصل مشغل خشب الزيتون عن القسم المجاور له.. حائط من الطوب لا يصل الى السقف وانما يترك بينهما فراغا.. يقل عن المترا!..

سألوه عما في القسم الاخر المجاور..

التزم الصمت..

زادت شكوكهم.. بأنه قد يكون في القسم المجاور ماكنات او بضاعة مخبأة لنفس الشخص!..

الحوا على ضرورة فتح باب ذلك القسم.. المطل على الشارع.

وحين اكد هو لهم انه ليس له، جوبة بسؤالهم له عمن يكون صاحبه.

لم يجبهم هو.. وانما فعل ذلك آخرون.. وتعددت الاجابات.. مما عزز شكوكهم!

تسلق احدهم على كتف آخر.. ونظر من الفسحة ما بين حائط الطوب.. والسقف، رأى امامه اثني عشر ماكنة للصدف.. والكثير من المصنوعات الصدفية.. والمواد الخام..؟

وجدوا فيها.. غنيمة ثمينة!

اصروا على طلب المفتاح، وحين لم يجدوه لان صاحب مشغل الصدف يسكن بعيدا.. هددوا اما بفتح الباب عنوة بمهدة كبيرة.. او هدم حائط الطوب!!

وبعد تردد.. وجدوا ان الحل الثاني.. أسهل وافضل!..

وما ان هدموا جزءا من حائط الطوب، حتى كان المشغل الثاني يقف عاريا اعزل.. امام نظراتهم الجشعة!.

ورغم غياب صاحب المشغل..

ورغم عدم ورود اسمه بين اسماء المكلفين المطلوبين!.. فقد باشروا بمصادرة ماكناته.. ونقلها الى الشاحنة الكبيرة.. التي كانت تنتظر في الخارج.. وتفتح فاها.. في شراهة ونهم.. لتلتهم المزيد!

.. ونشط الحمالون - الذين احضروهم معهم - للعمل.. في همة ونشاط.

بلغ الخبر صاحب المشغل.. وما اسرع ما تنتشر الاخبار.. في البلدة الصغيرة الصامدة!..

جاء مهرولا...

فوجيء بالحائط المهدوم!.. وبأنهم قد صادروا - قبل وصوله - خمس ماكنات.. وما زالوا يعملون على نقل ما تبقى منها.

كل ذلك تم في غيابه!.. دون اعلامه.. او حتى اشعاره؟!

على الدم في عروقه..

انتهر الحمالين كي يتوقفوا عن نقل الماكنات!

صرخ فيه الاخرون ان يبتعد.. والا يعرقل عملهم الرسمي!..

افهمهم ان عملهم الرسمي - ان وجد - لا يشمل غير المكلفين ضريبيا.. او اولئك الذين لا اسم لهم في الكشوفات.. ومشغله هذا تابع لاحدى الجمعيات المسجلة!

رفضوا حجته...

واستمروا في عملية المصادرة!..

حاول اعتراضهم!.. ولكن قوة كبيرة من الحراسة كانت متواجدة لهذا الغرض.

ابعدوه.. بالقوة!

اخذ يحتج.. ويصرخ معترضا..

فهذا المشغل له.. وهو صاحب عائلة مكونة من ستة اشخاص!.. بينما يعمل في المشغل خمسة عمال آخرين.. كل منهم يعيل عائلة كبيرة!.. والمشغل يكفل المعيشة لست عائلات!.. ولن يستطيعوا مصادرة مصدر رزقهم الوحيد!!..

صرخ فيه احدهم:

- لن يجديك كل ذلك نفعا!.. لقد سجلنا لك في الكشف خمس ماكنات.. ولن نسجل لك السبعة الباقية.. اتعلم لماذا؟

همهم:

- حين تسود شريعة الغاب.. فلا جدوى من لماذا!

الاخيرة:

- لن نسجل لك الماكنات السبع المصادرة الا بعد ان تحضر الى مكتبنا لنتفاهم!..

اعترض قائلا:

- ولكنكم تعلمون سلفا.. اننا لا نأتي الى مكتبكم!

رد الاخر بلا مبالاة:

- على كيفك!.. كثيرون يحضرون..! واذا لم تحضر انت.. فانس الماكنات السبع!!

ثار محتجا:

- ولكن هذا ظلم!

عقب الاخر بصلف:

- نحن نطبق القانون!.. ولا نعمل شيئا غير قانوني!

علق في ثورة:

- اي قانون هذا الذي يبيح لكم.. هدم حائط.. واقتحام مشغل في اثناء غياب صاحبه.. ومصادرة ممتلكات انسان غير مكلف؟!؟

رد آخر بجفاء وهو يستدير للذهاب:

- لم نجيء الى هنا لنتعلم القانون منك!.. نحن نعرف ماذا نفعل!.. ولا لزوم لكل هذا الكلام الفارغ!!

كان الحمالون قد نشطوا لاكمال مهمتهم في اسرع وقت ممكن.. حتى يتمكنوا من العودة الى منازلهم البعيدة.. قبل غروب الشمس.

... كان احدهم يحمل مجموعة من المصنوعات الصدفية.. موضوعة في علبة كرتون كبيرة معدة للشحن.. دون ان يتوخى جانب الحرص والحذر المطلوب في نقل مثل

Digitized by Birzeit University Library

- في عجلة من امره - الى داخل الشاحنة!.. الامر الذي ادى الى كسرها!!

لم يحتمل صاحب المشغل اكثر من ذلك!..

لقد عرف بمهارته في اشغال الصدف، وبدقته في عمل المصنوعات الصدفية الفنية خاصة.. ترابيع الميلاد.. والعشاء السري.. وقبة الصخرة!.. كم امضى الساعات الطويلة متمهلا في نقشها وصنعها وتصفيحها.. ثم في تلميعها وصقلها.. حتى جاءت كل منها.. آية فنية رائعة!..

كان يحرص على كل منها.. كما يحرص على اثمن ما يملك، ويترفق بها كما يترفق بأبنائه! ولذا فقد استثمر تماما.. حين رأى كل جهده وعمله وحرصه وترفقه.. تبدد هكذا..وتضيع.. على صخرة بلادة واهمال.. حمال مأجور!

صعد الدم الى رأسه.. ولم يتمالك نفسه.. ولم يشعر الا ويده تندفع في قوة.. لتضرب الحمال في صدره!.. وهو يصرخ فيه ثائرا معربدا!

تحلق كثيرون حوله.. يهددون ويتوعدون.. وقد ارتكب جريمته الشنعاء بحق ذلك الحمال! وامتدت اليه اكثر من يد.. لتوقيع العقاب عليه!..

الا انه صرخ فيهم قائلا:

- يجب ان تدركوا جيدا ان ممتلكاتنا ليست رخيصة لدينا.. انها اثمن من كل كنوز الارض!.. وهذه رموز دينية مقدسة يجب ان يحترمها الجميع.. الجميع دون استثناء!.. لا ان تكسر وتحطم هكذا!!

بوغتوا بما قاله..

هل افحمتهم كلمات عام لبسيط.. انطقه الاحساس بالظلم؟

وتجمدت الايدي الممتدة!..

وفكر:

- اين لهم ان يقدروا قيمة الفن.. وكل الجهود والاوقات التي بذلت في سبيل هذه المصنوعات الفنية المتقنة والتي اكتسبت شهرة خاصة بها في المنطقة.. كم اعجب بها اصحاب النقوارى!.. وكم تهافتوا على شرائها! لطالما شاهد نظرات الاعجاب والتقدير في عيون السياح وهم يتأملون دقة المنمنم، وروعة الاتقان!.. ليأتي بعد ذلك حمال جاهل.. مأجور.. ليحطمها في ثوان!؟.

وسكت الاخرون - كما يبدو - على مضض!.. ليعاقبوه بطريقتهم الخاصة.

لم يبقوا له ماكنة واحدة.. ولو صغيرة في المحل!..

لم يبقوا له اية عدة او مبرد.. الا وحملوها..!

جميع المصنوعات الصدفية.. حتى تلك التي لم تجهز.. قاموا بمصادرتها ونقلها!

وما عدا الماكنات الخمس الاولى.. فان ايا من هذه او تلك لم يسجل في كشف المصادرات.. بحجة ان عليه ان يحضر الى مكتب الضريبة للتفاهم.. وبزعم ان يده قد امتدت.. وتطاولت.. واعتدت.. على احد العاملين.. اثناء قيامه بمهمة رسمية.. ولتنفيذ بنود القانون!!

ولم يجد اي احتجاج او استنكار.. فلواء القطرسة مرفوع.. والحراسة المشددة الصارمة بالمرصاد!

كانوا يجولون بعيونهم في انحاء المكان.. بحثا عن شيء.. هنا او هناك.. يضيفونه الى قائمة المصادرات غير المسجلة!..

وحمد الله انهم لم يروا علبة المسامير الدقيقة التي تستعمل في تثبيت المفاصل لعلب الصدف!.. وتذكر كيف وجدها بمعوبة بالغة.. وبشق النفس!.. لم تكن قيمتها هي المهم.. وانما ندرتها.. والحاجة الماسة اليها!..

وفكر..

ما قيمة علبة صغيرة من المسامير الصغيرة؟!؟.. وقد صادروا له كل شيء!

تنهد: "ان راح البيت.. فلا اسفة عالخوابي"

ولكن لا.. فالعلبة الصغيرة.. هي - ورغم كل شيء - رمز.. رمز للتحدي!

عين احدهم - واخيرا - لمحت العلبة.. علبة المسامير الدقيقة!.. حملها.. ووضعها داخل السيارة..

حاول ان يعترض.. ولكنهم لم يأبهوا به..!

غافلهم.. وتناول العلبة من حيث وضعوها.. وأعادها الى مكانها الاول!

رآه.. صرخوا فيه.. واتهموه بالسرقة!!

ابتسم ساخرا.. وتساءل في نفسه:

- من هو السارق؟!؟.. هو .. ام غيره..؟!

يا لسخرية القدر!..

عاد احدهم وتناول العلبة في عنف.. حطم معها الزجاج من حولها!

اعترض هو طريق العلبة.. انتزعها من بين الايدي..

وتذكر كلمات شمشون: "علي وعلى اعدائي.."

هتف متحديا:

- لن تكون العلبة لكم.. لن تكون!

تكاثروا عليه.. انتزعوا العلبة منه.. دفعوه بقوة نحو الجدار الخارجي.. الذي تحول - مع الايام - الى لوحة اعلانات كبيرة تختلط فيها الالوان..

اصطدم بالجدار.. تعانق جسده مع كلمة "لا" المخطوطة على الجدار.. ضمن شعار كبير "لا لدفع الضرائب".. احس بالكلمة تلتصق به.. تنفذ الى داخله.. لينصهرا معا.. كتلة واحدة..

تجسد الرفض.. وترفع شعار التحدي!

لم يزده ذلك الا اصرارا وعزما..

فالعلبة بالنسبة له لم تعد مجرد علبة.. وانما غدت تمثل نوعا من التحدي!.. تحد لارادته.. وكرامته! وتململت في داخله كل عناصر الرفض.. وشعر ان عليه ان يفعل شيئا.. تحرك بسرعة.. واختطف العلبة مرة اخرى..

وفي لمح البصر.. نثر محتوياتها من المسامير الصغيرة الدقيقة.. على ارض الشارع!.. وهو يقهقه ساخرا!!

لم يبال - بعدها - بما ناله من الركلات.. والدفعات.. والضربات فقد شعر انه انتصر اخيرا.. في معركة التحدي!!!

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

لا تخبروا مدينتي بما حدث ليلة امس ..

وليم ڤوسكرجيان
القدس

اتطلع من نافذة غرفتي الوحيدة ... تلك التي تقبع هناك كل ليلة ولساعات طويلة عند تلك الزاوية من مدينتي التي تمتد حتى البحر الازرق العينين ...

ظلام خشن القسمات يملأ الطرقات والازقة التي لازالت تحلم احلامها الاخرى ... والاضواء الباهتة لازالت تنطلق من بعض تلك النوافذ الضيقة المنتشرة هنا وهناك على تلك الجدران التيت تمتد حتى الافق البعيد ... وانا ... ادخن سيجارتي السابعة عشر، وحقد اسود يملأ اعماقي، ومرار بغيض يغطي كل فمي ...

انفاسي الحارة تتردد في صدري بغضب، ونظراتي الحزينة تود لو تخترق الجدران، وترحل عبر المسافات القريبة والبعيدة لتصل الى حيث تكون حبيبتي ... تلك التي تعرف قصتي معها ...

السماء ...

والبحر ...

والطيور التي تهاجر كل عام نحو

الجنوب البعيد ...

لا بد وان تكون الان نائمة ...

عيناها الجميلتان مغلقتان ... وابتسامة وادعة ترتسم على وجنتيها ...

وهمسات دافئة تطل بحياء من بين شفتيها.. شعرها الاسود ذاك... ينساب بهدوء رائع.. على رأسها وكتفيها، وحذائها الصغير وثيابها القليلة تقبع هناك عند قدميها تنتظر.

بفارغ الصبر مجيء فجر يوم آخر...

اربعة جدران لعينة اخرى تحيط بحبيبتي من الجهات الاربع ...

انها لحظات ما بعد منتصف ليل اسود آخر ...

تبا لك يا زمن ويا حزن ويا قدر ...

لماذا لا استطيع ان اراها الان ... اشعل سيجارة اخرى ... املأ فمي بدخانها الاسود ...

السعال البغيض يعود ليطل بوجهه الكريه من انفي وفمي وذلك الجرح الاخر في صدري ...اقف على قدمي ... اسير واسير في غرفتي ...

اربعة جدران كالعادة ...

لعينة كالعادة ...

كريهة كالعادة ...

صماء كالعادة ...

اعود الى سريري ... اجلس عليه ...

يحدجني بنظراته الرقيقة ... يفتح فمه ... يوه لو يقول شيئا ...

يهمس بكلمة لا تصل اذني ...

يتطلع هو الاخر الى البعيد ... وكأنه يتذكر حبيبته التي رحلت نحو البعيد قبل عشرين عاما ...

اشعل سيجارة اخرى ... املأ غرفتي بدخانها الاسود ...

سعال بغيض آخر يملأ فمي وانفي وذلك الجرح اللعين في صدري ...

امسك قلمي ... لا انتظر طويلا كي اجد ورقة باهتة اللون ...

وبيد مرتجفة، اخط عليها رسالتي الالف بعد المئة لحبيبتي ... تلك التي تسكن في البعيد البعيد ...

كانت اسطر قليلة ....

وكلمات قليلة ...

وهمسات تعد على اصابع اليد الواحدة ... ضممت الرسالة الى حبيبتي عندما تبعث الشمس بعد ساعات او سنين خيوطها الاولى نحو الافق الذي لا يبعد عن مدينتي كثيرا ...

رسالتي الصغيرة تقبع بهدوء بين يدي الحالمتين، واللحظات والدقائق تمر بطيئة وانا انتظر بفارغ الصبر طلوع فجر يوم آخر.

ملاحظة:-

لم اكن اعرف ان خيوط الفجر قد بدأت تنساب خلسة عن اعين الرقباء والجنود الغرباء الذين يملأون الطرقات والازقة الى سماء مدينتي ...

فالليل قد اخذني الى عالم آخر، ورسالة حبيبتي تقبع بهدوء بين يدي الحالمتين، وهمسات دافئة تتردد في صدري ... وحلم آخر يروح ويجيء في غرفتي البائسة الوحيدة ... تلك التي تقبع هناك كل ليلة ولساعات طويلة عند تلك الزاوية من مدينتي التي تمتد حتى

Digitized by Birzeit University Library

بسم الله

- زنابق الفكر -

جبران الصغير

بيت لاهيا/ غزة

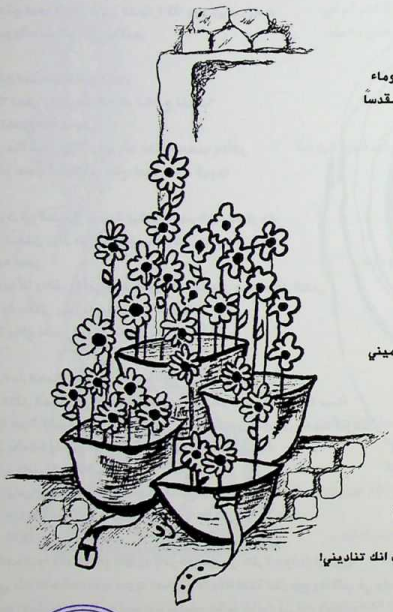

١- اذا اردت ان تسير في الصحراء فاحمل خبزاً وماء
واذا اردت ان تسير في المدينة فاحمل كتاباً مقدساً
ومصباحا يضيء لك الطريق في وسط النهار.

٢- هذا المساء هادىء جميل
فهل سيأتي مساء آخر بعد صباح قريب؟
فاذا لم اكن اعرف ذلك فأين الجمال.

٣- صحوت مبكراً أوحد الله خالقي
فسمعت آذانًا يدوي في الفضاء
وانتابتني الخشية ونهضت مسرعاً
فاذا بي واقف بباب الجامع
وتلفت حولي جيدا فوجدت شيخًا جليلا عن يميني
وامرأة غير مستورة عن شمالي
فسألت الشيخ لماذا لا تدخل للصلاة؟
فأجاب الباب وراءك مغلق.
فتلفت:
فاذا به باب جبران المسجد اقف امامه
وسألت المرأة:
لماذا انت واقفة بلباس عار والناس يصلون؟
فأجابت:
عندما وقفت ببابي توحد بصوت عال حسبت انك تناديني!
فتعجبت في نفسي كيف ذلك؟
فقالت:
كثيرون ممن يأتوني، ينادوني بأسماء مباركة، ويدعون دعوات مباركة.
فاستغفرت الله ورثيت لحالتها وقلت ادخلي بيتك
وأنا سأذهب للصلاة.
فقالت:
كلانا ينشد اللذة ولكن كلا بطريقته.

Digitized by Birzeit University Library

٤- سلام لك أيتها النفس،
تتجرعين مرارة الحياة وانت تراقبين طلوع الفجر وترقصين على
أنغام آمال حلوة وانت تذوبين في مرارة الحرمان وبرجل واحدة.

٥- دخل المصلون المسجد وكل في نشاط ولهفة لكي يقف
في الصف الاول.
وفجأة وأنا اقف وراء احد الرجال وبعد الصلاة سمعته
يقول لصاحبه.
تعلم كيف تكون فنون التجارة فلا يهم كيف ربحت
المهم والحمد لله انني متقدم.

٦- سألت احد المنافقين قائلا:
لماذا تصلي وانت تعرف انك تخادع نفسك؟
ولا تخادع الله فاجاب:
ان هذا فرض وذاك ذنب وما دخل احدهما بالآخر
فقلت له عجبًا لجهلك يا صاح غداً وعلمك اليوم؟

٧- مررت في الطريق بنسوة يبكين ويصرخن بصوتٍ عالٍ
وقد امسكن بولد ذو طلعة جميلة وهو يتخبط في دمائه
وبيده حجر.
وبينما انا واقف وقلبي يتمزق ويبكي دما على هذا الطفل الشاب
واذا بالمختار يمر مع بعض اعوانه قائلا:
لماذا يدفع نفسه اليهم؟ انه لن يحرر الوطن.

٨- قال احد العمال وهو يجلس بجانبي في احد الشاحنات
التي تنقل العمال في الرابعة صباحًا وتعيدهم الساعة السادسة مساءً
- انها حياة كليبة مملة قاتلة فنحن لسنا بأحسن حال من العبيد فاولئك
عبيد بالعصا ونحن عبيد باللقمة اللهم خلصنا من هذا.
فأجاب عامل آخر بجانبه:
لا تيأس يا صاحبي، دعنا نعيش فالله قد نسينا من زمان كما نسيناه
وملأ حياتنا فقرا لاننا ملأنا قلوبنا خوفا وتخاذلا ولا مبالاة.
فقال ثالث:
لا تتجادلوا فقد تصبح ذات يوم مرحومين من كثرة حوادث الطرق،
وفي تلك اللحظات دوى صوت تصادم واذا بالشاحنة تتأرجح وتنقلب في وادي مجاور.
وتموت الامنا واحلامنا مع اجسادنا ليصبح عشبًا غزيرًا في قاع الوادي،
ويأتي اليه احد
الناس ليقطعه لمواشيه.

٩- نظرت الي فتاة حزينة.
فعرفت اولادها قبل ان يولدوا

Digitized by Birzeit University Library

ونظرت هي الى وجهي فعرفت جدودي اللذين ماتوا قبل ان تولد.

١٠- اصبحت انساناً عندما اتفقا فكري ونفسي بعد طول عراك اربي وتزوجا معاً
واصبحت ضحية هذا الزواج المجهول.

١١- نحن معشر الفلاسفة:
نحمل الزمان من بدايته حتى نهايته على رؤوسنا مثلما تحملونه
انتم في آلات صغيرة على معاصمكم.
فقل لي كيف يمكن ان يفهم احدنا الاخر الا اذا نظرتم الي
اعلى ... ونظرنا نحن - الى اعماق اعماق هذا الذي نحمله.

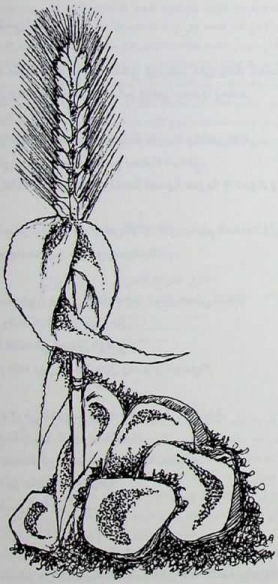

١٢-
" الخسارة "

ذهبت يوماً الى المقبرة ابحث عن قبر نفسي حيث دفنتها البارحة
بعدما طعنتها بسكين في لحظة غضب.
وبينما انا تائه عن مكان القبر.
واذا بصوت يناديني من ورائي فتلفت خائفاً.
واذا به حفار القبور يبتسم ويقول ماذا بك؟
لقد كنت هنا البارحة وكانت السعادة تبدو على وجهك
عندما انتهيت من دفن نفسك.
حتى انك كنت تضحك بملء فمك وقلبك عاليا
وانت اليوم تأتي واخالك تبحث عن قبرها.
فقلت له:
نعم لقد افتقدتها وعرفت ضرورتها
والان أنا تعيس
لاني أدركت بعد فوات الاوان اني خسرت ذاتي المعارضة وبقيت
ذاتي الاخرى على اتفاق معي، وهذا بداية الضياع
لذلك جئت اشكو حالي لها لعلها تشفق عليّ
وتتململ تحت التراب وتكلمني لتدلني على ذات اشد معارضة.

١٣- اذا صادفت المجرمين فلا تلم اتباعهم اذا سلموك اليهم.

١٤- يقولون لي:
انت ذرة صغيرة تتحرك ضمن ذرات هذا الكون اللامتناهي
وانا اقول لهم
اني انا الكون وكل الذرات تتماوج مع رياح السماوات على الشاطىء
اللامتناهي في عالمي لتأخذ الزبد بعيداً ... ويبقى الشاطىء والبحر
بجمعان عنا صدى ويحفظانها الى مالانهاية.

Digitized by Birzeit University Library

١٥- ارضنا هذه هباءة في هذا الكون حجمًا ووزنًا
لكنها اثقل من هذا الكون كله بشرور الناس
ولكني بين ذاك وهذا اختار ايهما اضع في نفسي وعقلي.

١٦- سألتني نفسي الاولى عن حال نفسي الثانية.
فلم اجد الجواب لانه تاه في الطريق البعيد بينهما رغم
انني اعرف مكانه احيانا.

" انا ونفسي "

لقد مللت الصراع مع نفسي ورأيتها على وشك المصالحة والرضا فقلت لها هيا بنا الى مكان بعيد عن عيون الناس
لنتراضى ونتصافى لعلنا نتصالح ونحب بعضنا بعضا.
فقالت لي:
انا وانت على طبيعة مختلفة كل منا يناقض الاخر
فكيف تريد ان نحيا سويا مع بعضنا البعض.
انت من مادة فانية وانا من نفحة قدسية علوية لا تموت ولا تفنى.

فكيف نسكن بعضنا مع بعض الا اذا كان بحكم التكلفة فأنت سجيني وانا المسجون المتمرد.
فهل يتم صلحا بين سجين وسجان؟.

مع انك مسجون مثلي! لكنك دائما تسترحمني لماذا؟
لاني انا والسعادة على جبل عال.
وانت والشقاء في اعماق الوادي.
فهل يتم لقاء بين قمة الجبل واعماق الوادي!؟

انا والجمال في النور ... وانت والجهل في الظلمة.
فهل يتم لقاء بين النور والظلام؟!
أنا رغم سجنك لي اسير نحو الابدية مسرعة.
وانت تسير نحو الفناء ببطء
فلا انا اتمهل ولا انت تسرع.
وهذا منتهى الشقاء
لكن رغم كل ذلك فانا فخورة بك لانك صادق وامين لا تتردد في اعلان موتي والاعتراف به.
وعندما اتكلم عن الحقيقة المجردة لان ذلك مثلما يؤذيك فهو يشقيك ويشقيني .
وعندما نتلاقى معا: وللأسف في لحظات نادرة من عمرنا اللامتناهي.

Digitized by Birzeit University Library

وثيقة

النص الحرفي لقرار مجلس الامن رقم (٦٨١) حول الوضع في الاراضي المحتلة

- فيما يلي النص الحرفي لقرار مجلس الامن الدولي رقم (٦٨١) حول الاراضي المحتلة، الذي اتخذ بالاجماع بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٠.

ان مجلس الامن اذ يؤكد من جديد التزامات الدول الاعضاء بموجب ميثاق الامم المتحدة واذ يؤكد من جديد كذلك مبدأ عدم جواز اكتساب الاراضي بالحرب الذي تضمنه قرار مجلس الامن ٢٤٢ (١٩٦٧).

وقد تلقى تقرير الامين العام المقدم عملا بقرار مجلس الامن ٦٧٢ (١٩٩٠) بشأن الطرق والوسائل الكفيلة بضمان سلامة وحماية المدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الاسرائيلي واذ يحيط علما على وجه الخصوص بالفقرات من ٢٠ الى ٣٦ من ذلك التقرير (أس / ٢١٩١٩).

واذ يحيط علما بما ابداه الامين العام من اهتمام بأن يقوم بزيارة وان يوفد مبعوثه لمتابعة مباحثاته مع السلطات الاسرائيلية كما ورد في الفقرة ٣٢ من تقرير الامين العام (أ س / ٢١٩١٩) كما يحيط علما بالدعوة التي وجهتها اليه تلك السلطات مؤخرا.

واذ يصاوره بالغ القلق ازاء التدهور الخطير للحالة في جميع الاراضي الفلسطينية التي تحتلها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧، بما في ذلك القدس وازاء العنف وازدياد التوتر في اسرائيل.

واذ يأخذ في الاعتبار البيان الذي ادلى به رئيس مجلس الامن في ٢٠ كانون الاول ١٩٩٠ بشأن طريقة ونهج التوصل الى سلم شامل وعادل ودائم في النزاع العربي - الاسرائيلي.

واذ يشير الى قراراته ٦٠٧ (١٩٨٨) و ٦٠٨ (١٩٨٨) و ٦٣٦ (١٩٨٩) و ٦٤١ (١٩٨٩) واذ يشير جزعه قرار حكومة اسرائيل ابعاد اربعة فلسطينيين من الاراضي المحتلة، بما يتنافى مع التزاماتها بموجب اتفاقية جنيف الرابعة:

١- يعرب عن تقديره للامين العام على تقريره الوارد في الوثيقة (أ س / ٢١٩١٩).

٢- يعرب عن بالغ قلقه ازاء رفض اسرائيل لقراري مجلس الامن (٦٧٢) (١٩٩٠) و ٦٧٣ (١٩٩٠).

٣- يعرب عن استيائه من قرار حكومة اسرائيل - السلطة القائمة بالاحتلال - استئناف عمليات ابعاد المدنيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة.

٤- يحث حكومة اسرائيل على ان تقبل سريان اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ قانونا على جميع الاراضي التي تحتلها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ وان تلتزم التزاما دقيقا باحكام الاتفاقية المذكورة.

٥- يطلب الى الاطراف المتعاقدة السامية في اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ ان تكفل احترام اسرائيل - السلطة القائمة بالاحتلال - لالتزاماتها بموجب اتفاقية جنيف الرابعة وفقا للمادة (١).

٦- يطلب الى الامين العام ان يقوم، بالتعاون مع لجنة الصليب الاحمر الدولية، بمواصلة تطوير الفكرة المستمدة من تقرير الامين العام (أ س / ٢١٩١٩) والمتعلقة بالدعوة الى عقد اجتماع للاطراف المتعاقدة السامية في اتفاقية جنيف الرابعة ومناقشة ما يمكن ان تتخذه هذه الاطراف من تدابير بموجب الاتفاقية وان يدعو لهذا الغرض تلك الاطراف الى تقديم ارائها بشأن الطريقة التي يمكن ان تسهم بها هذه الفكرة في تحقيق اهداف الاتفاقية وكذلك ارائها بشأن المسائل الاخرى ذات الصلة وان يقدم تقريرا عن ذلك المجلس.

٧- يطلب الى الامين العام رصد ومراقبة الحالة في ما يتعلق بالمدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الاسرائيلي وان يبذل جهودا جديدة في هذا الصدد على وجه الاستعجال وان يستخدم ويعين ما يلزم من موظفي وموارد الامم المتحدة وغير ذلك من الموظفين والموارد الموجودين هناك في المنطقة وفي اماكن اخرى او يستعين بهم في انجاز هذه المهمة وان يبقى مجلس الامن على اطلاع بصورة منتظمة في هذا الصدد.

٨- يطلب كذلك الى الامين العام ان يقدم تقريرا دوريا اول الى مجلس الامن في موعد اقصاه الاسبوع الاول من شهر اذار ١٩٩١ ثم كل اربعة اشهر بعد ذلك ويقرر ان يبقى المسألة قيد نظره حسب الاقتضاء.

نص بيان رئيس مجلس الامن الدولي حول النزاع العربي - الاسرائيلي

في ما يلي النص الحرفي لبيان رئيس مجلس الامن الدولي لشهر كانون الاول ١٩٩٠، عبد الله صالح الاشطل (اليمن) بشأن النزاع العربي - الاسرائيلي. وقد تم تبني هذا النص، باجماع اعضاء مجلس الامن، الى جانب القرار المذكور:

يعيد اعضاء مجلس الامن تأكيد تصميمهم على تأييد عملية نشطة للتفاوض تشترك فيها جميع الاطراف ذات الصلة وتؤدي الى سلم شامل وعادل للنزاع العربي - الاسرائيلي عن طريق المفاوضات التي ينبغي ان تستند الى قراري مجلس الامن ٢٤٢ (لعام ١٩٦٧) و ٣٣٨ (لعام ١٩٧٣) والتي ينبغي لها ان تأخذ في الاعتبار حق جميع الدول في المنطقة، بما فيها اسرائيل في الامن والحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني.

وفي هذا السياق فانهم يتفقون على ان عقد مؤتمر دولي في وقت ملائم يكون مشكلا على الوجه الصحيح من شأنه ان ييسر الجهود الرامية الى تحقيق تسوية يتم التوصل اليها عن طريق التفاوض والى تحقيق سلم دائم فيما يتعلق بالنزاع العربي - الاسرائيلي.

"بيد ان اعضاء المجلس يرون انه ليس هناك اجماع فيما يتعلق بالوقت الملائم لعقد هذا المؤتمر.

ومن وجهة نظر اعضاء المجلس فان النزاع العربي - الاسرائيلي نزاع هام وفريد ويجب معالجته على حدة وحسب وقائعه الموضوعية".

Digitized by Birzeit University Library

من اجل حوار فكري - سياسي ديمقراطي

احدثت البيريسترويكا هزة كبيرة في العالم ادت الى اعادة رسم ملامحه الاجتماعية الاقتصادية - السياسية من جديد. وفي ظل التغير الجارف الذي ادى الى التصدي في هيكل النظام الاشتراكي والانهيار التام لبعض بلدانه، ونتيجة لخروج الولايات المتحدة منتصرة من الحرب الباردة، وانهماك البلدان الاشتراكية بازماتها الداخلية اصبحت الفرصة متاحة بشكل لم يسبق له مثيل لكي يستفرد الغرب الامبريالي وعلى رأسه الولايات المتحدة بالعالم، ولكي يأخذ على عاتقه التدخل بوقاحة ودون تردد في المناطق الساخنة في العالم وترسيخ تبعية بلدان ما يسمى العالم الثالث له.

وامام الانعطاف الكبير في العلاقة بين المعسكرين العالميين التي اصبحت قائمة على توازن المصالح بدل توازن القوى، وفي العلاقة بين دول المنظومة الاشتراكية والبلدان التي تخوض معارك تحررها الوطني والاجتماعي التي الغيت بموجبها مقولة "ان الحرب امتداد للسياسة ولكن بوسائل اخرى" بات من الضروري ان تعيد بلدان ما يسمى العالم الثالث ترتيب امورها بشكل ينسجم مع التغيير الجذري في التحالفات والعلاقات الدولية ويضمن لها تحقيق طموحاتها في التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على اسس جديدة تكفل تحقيق الديمقراطية الشاملة والحرية والعدل والامن والاستقرار.

اما في العالم العربي فقد كان لهذه التغيرات تأثيرات واضحة انعكست على مجمل قضاياه وتسارعت الاحداث لتنعكس اول ما تنعكس على الوضع الحالي في منطقة الخليج حيث عاد ليطرح من جديد وبكل قوة المشروع القومي العربي كمواجه للتحديات التي تحدق بالمنطقة العربية وتهدد وجودها كجماهير شعبية غاب دورها الفعلي عن التأثير في ساحة الاحداث الساخنة والباردة من جهة، وكقوة سياسية وعسكرية تسعى الى اثبات وجودها وتجسيد هويتها القومية من جهة ثانية، وكموارد طبيعية وثروات مادية وفي مقدمتها النفط من جهة ثالثة.

ولقد عاد المشروع القومي العربي يطرح نفسه بجدية هذه المرة بفعل هذين العاملين (انهيار النظام الاشتراكي والتدخل الامبريالي في الخليج) لكن بآفاق جديدة. غير ان هذا الموضوع ما زال موضع تساؤلات ومثار جدل كبير بين القوى السياسية المتباينة بمختلف تعبيراتها الطبقية.

ومن هنا جاءت ضرورة اعادة طرح الموضوع واستشفاف احتمالات تحقيقه بما ينسجم مع التغيرات الجارية في العالم وانطلاقا من الثقة بالقدرات والامكانيات العربية الذاتية بعيدا عن الشوفينية والانغلاق عن العالم. وعليه: فهل تعتقدون بصوابية طرح المشروع القومي العربي كحل يضمن تحقيق التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للوطن العربي؟ وما هي طبيعة هذا المشروع وآفاقه ومنطلقاته الايديولوجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية؟؟.

اننا في مجلة "الكاتب" وانطلاقا من ثقتنا بتوفر القدرة والاستعداد لدى العديد من كتابنا ومفكرينا للمساهمة في خلق حالة من الحوار الفكري - السياسي حول مواضيع كثيرة تتعلق بالوضع العربي والفلسطيني... فاننا ندعوهم للمشاركة في طرح رأيهم حول هذا الموضوع. وسوف تقوم الكا[illegible]

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library